مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945
اسم الكاتب: د. عقيل نمير
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2683
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 10:34 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945

د.عقيل نمير*

الملخص

أدّى فرحات عباس دوراً مهماً في الحركة الوطنية الجزائرية منذ مرحلة دراسته الثانوية حتى أصبح عضواً في تيار الاندماج بزعامة محمد صالح بن جلول إذ كان يطالب سلطات الاحتلال الفرنسي بالمساواة بين المواطنين الجزائريين سكان البلاد الأصلين وبين المستوطنين الأوروبيين، وبقي على سياسته هذه قبل الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها، بمعنى آخر كان عباس من مؤيدي سياسة التفاهم والحوار مع سلطات الاحتلال الفرنسي في سبيل حصول الجزائر على استقلالها التام.

قسّم البحث إلى مقدمة ومتن يتضمن ست نقاط رئيسة وخاتمة.

تناولت المقدمة أهمية البحث وإشكاليته والمنهج الذي اتبعته.

في المتن: تناولت ست نقاط وعناوين رئيسة

درس في النقطة الأولى النضال السياسي الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأسباب تأخره.

عرضت في النقطة الثانية أهم التيارات السياسية الجزائرية الفاعلة على ساحة البلاد. وتحدّثت النقطة الثالثة عن سيرة فرحات عباس الذاتية، وعن عائلته منذ الولادة حتى تخرجه في الجامعة صيدلياً والظروف التي أحاطت بنشأته.

* د. قسم التاريخ– كلية الآداب– جامعة دمشق.

تناولت في النقطة الرابعة النشاط السياسي لفرحات عباس في مرحلة دراسته الجامعية وموقف سلطات الاحتلال الفرنسي من ذلك، وكذلك موقف زملائه في تيار الاندماج الذي يشكل عضواً فاعلاً فيه.

وتناولت النقطة الخامسة النشاط السياسي لفرحات عباس قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، وأهم مواقفه السياسية التي تجلت في مشاركته للأحزاب الجزائرية في عقد المؤتمر الإسلامي الأول عام 1936 والثاني عام 1937، كونه عضواً فاعلاً فيهما.

أخيراً، عالجت النقطة السادسة من البحث موقف فرحات عباس السياسي في أثناء الحرب العالمية الثانية والتحاقه بالجبهة الفرنسية – بناء على طلبه– بوصفه صيدلياً ، ومن ثم قيامه بصياغة بيان وملحق له يترجم مطالب الشعب الجزائري اذ مثل هذا البيان ذروة النشاط السياسي له، كما أصدر عباس البيان وملحقه بعد أن استشار وحصل على موافقة الأحزاب السياسية الجزائرية الفاعلة على الساحة .

الخاتمة: وقفت على أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث.

Résumé de la recherche

J'ai divisé ma recherche par une introduction et six points principaux . J'ai parlé dans l'introduction de l'importance de la recherche et sa problématique, et la méthode que j'ai utilisé.

J'ai traité au premier point l'apparition de la lutte politique algérienne à la fin du XIX° siècle et les causes de ses retardés.

J'ai présenté au deuxième point les partis politique algériens qui dominaient la place politique.

Au troisième point, j'ai présenté Ferhat Abbas et sa famille (la datte de sa naissance, le lieu, ses études premières, sa famille et son travail), par cotre, j'ai traité au quatrième point l'activité d'Abbas pendant ses études universitaires.

Dans le cinquième point, j'ai parlé de l'activité d'Abbas avant la deuxième guerre mondiale et son accord avec la plupart des partis algériens qui ont formé un front uni représenté au premier congrès en 1936.

En fin, j'ai expliqué la lutte d'Abbas pendant la deuxième guerre mondiale et son role distingué dans cette lutte bien qu'il présente le manifeste du peuple algérien aux alliés qui sont descendus en Algérie en novembre 1942. Par contre, Abbas a envoyé une copie du manifeste au général De Guelle.

Conclusion : Je suis arrivé aux résultats principaux de ma recherche concernant Ferhat Abbas et son role dans la lutte politique algérien.

مخطط البحث:

مقدمة: في أهمية البحث وإشكاليته والمنهج المتبع.

المتن:

1- لمحة عن النضال السياسي الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

2- أهم التيارات السياسية الجزائرية المعروفة في مدة الدراسة.

3- تعريف بفرحات عباس وعائلته.

4- نشاط فرحات عباس السياسي في مرحلة دراسته الجامعية.

5- النضال السياسي لفرحات عباس قبيل الحرب العالمية الثانية.

6- النضال السياسي لفرحات عباس في أثناء الحرب العالمية الثانية.

7- خاتمة البحث

المقدمة:

أهمية البحث وإشكاليته ومنهجه

كان فرحات عباس أحد أبرز المناضلين السياسيين الجزائريين ضد سلطات الاحتلال الفرنسي، وكان ينادي باندماج الجزائر بفرنسا ولكن بشرط حصول الجزائريين سكان البلاد الأصليين على الحقوق والواجبات التي يحصل عليها الفرنسيون الغزاة، فأهمية الموضوع تتمحور حول هذه الشخصية الجزائرية التي قادت نضالاً جزائرياً – أحياناً منفرداً– ضد سلطات الاحتلال الفرنسي، خاصة في أثناء الحرب الكونية الثانية عندما أقدمت السلطات الفرنسية على إصدار قرار يقضي بإلغاء الأحزاب السياسية جميعها، وإغلاق مكاتبها وسجن أعضائها بما فيها حزب عباس نفسه، ولكن عباس طلب التحاقه بالجبهة العسكرية مع فرنسا ليعمل بمهنته صيدلياً، فهذه المناورة السياسية من قبل عباس تشكل أهمية للبحث تستدعينا الوقوف عندها، أمّا إشكالية البحث فتتمحور حول سؤالين رئيسين الأول: لماذا بقي فرحات عباس مصمماً على عدّ فرنسا بلده الأول؟ بمعنى آخر لماذا كان فرحات عباس نصف فرنسي كما كانت تصفه بعض المصادر المعاصرة له مع عدم استجابة سلطات الاحتلال الفرنسي لمطالبه العادلة؟

السؤال الثاني: لماذا تحول فرحات عباس من نصف فرنسي قبل الحرب العالمية الثانية إلى نصف جزائري بعد نهاية هذه الحرب (علماً بأنّ بحثنا يركز على نضاله السياسي حتى نهاية الحرب)؟ وذكرنا ذلك لأننا لا نستطيع فصل السؤال الأول عن الثاني. هذه الأهمية للبحث ظهرت من خلال معالجة نقاطه في المتن، ونقدم للباحث والقارئ والمهتم بالتاريخ بشكل عام، والتاريخ الجزائري بشكل خاص الظروف والأسباب التي دفعت عباس ليتحوّل من نصف فرنسي في فترة ما إلى نصف جزائري بعد الحرب العالمية الثانية. ففي هذه الشخصية المتناقضة كما يراها بعضهم تكمن أهمية البحث واشكاليته، طبيعي وللوهلة الأولى انّ إنساناً مثل عباس ينكر وطنه الجزائري في البداية، ويؤمن بفرنسا الغازية، يطرح إشكالية بحث كبيرة، فموضوعنا سيجب عن السؤال الأول من هذه

الإشكالية، لأنّ البحث يقف عند نهاية الحرب العالمية الثانية، أمّا الجانب الآخر منها فسنعالجه في بحث آخر.

اعتمد البحث على المنهج العلمي التحليلي للأحدث وأحياناً المنهج الوصفي والمقارن وربط الأسباب بمسبباتها لكي يقدم للقارئ فكرة واضحة وبإنصاف عن النضال السياسي لفرحات عباس.

1- لمحة عن النشاط السياسي الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي

بعد أن عجزت البنادق والمدافع عن طرد الاستعمار الفرنسي – وإن أعاقت تقدمه في الأراضي الجزائرية بعض الوقت – أفسحت المجال للقلم والعرائض والصحف والمؤتمرات والندوات، إذ بدأ بذلك تاريخ نضال جديد هو النضال السياسي، ربما يحقق ما عجزت الثورات العسكرية عن تحقيقه، علماً أن مطالب المناضلين السياسيين لم تُركز في البداية على طرد المحتلين بل على المساواة بينهم وبين أبناء الشعب الجزائري بالحقوق والواجبات، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية التي فرضتها سلطات الاحتلال ولكن يرجع تأخر النضال السياسي الجزائري حتى نهاية القرن التاسع عشر لعدد من الأسباب يمكننا أن نجملها في النقاط الآتية:

1- قضاء سلطات الاحتلال الفرنسي على الطبقة البورجوازية الجزائرية.

2- تطبيق سلطات الاحتلال الفرنسي سياسة التجهيل وفرضها على أبناء الشعب الجزائري من أجل السيطرة عليه.

3- محاربة اللغة العربية وفرض اللغة الفرنسية لغة رسمية في الإدارة وقطاعات التربية والتعليم.

4- محاربة الثقافة العربية من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي (1).

فبدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بوادر نشاط سياسي جزائري تُمَثل بكتابة عرائض، والتقدم بمطالب وإرسال وفود للتفاوض مع سلطات الاحتلال الفرنسي، والقيام

بمظاهرات وتأسيس صحف محلية ونوادي وجمعيات، وتأثر هذا النشاط بعدة عوامل نجملها في النقاط الآتية:

1- ظهور طبقة بورجوازية جزائرية جديدة تألفت من بقايا البورجوازية القديمة- التي قضت عليها فرنسا – ومن الأعيان وأبناء الفلاحين الذين هاجروا إلى المدن الجزائرية الكبيرة ودرسوا في المدارس الفرنسية.

2- الاتصال المباشر بالثقافة الأوروبية سواء عن طريق المدارس الفرنسية في الجزائر أم في أوروبا.

3- بداية احتكاك المثقفين الجزائريين والتأثر بالتيارات الإسلامية في المشرق العربي ولاسيّما تيار الجامعة الإسلامية.

4- تأثر المثقفين الجزائريين بالأوضاع الدولية كالصراع الألماني- الفرنسي عن المغرب والهجوم الإيطالي على ليبيا ونشوب الحرب بين تركيا وإيطاليا، وثورة تركيا الفتاة (2).

ولكن اتخذ هذا النشاط السياسي الجزائري في تلك المرحلة طابعاً إصلاحياً لا ثورياً إذ لم يطالب أحد من قادته بالاستقلال عن فرنسا (3). وقد ظهر في تلك المرحلة نواة تيارين سيظهران ظهوراً جيداً بين الحربين العالميتين وهما:

التيار الأول: ويطلق عليه كتلة المحافظين

تكوّنت هذه الكتلة من علماء الدين وزعماء الطرق الصوفية وبعض الأعيان، وقد وصفهم الكتاب الفرنسيون بأصحاب العمائم، وقد أجمع معظم هؤلاء على رفض سياسة التجنيس الفرنسية وتجنيد أبناء الشعب الجزائري في الجيش الفرنسي، وكان من أبرز شخصيات هذه الكتلة: الشيخ المولود ابن موهوب، عبد الحميد بن سماواة، عبد القادر المجادي' أبو القاسم الحفناوي والطيب بن زكري (4).

التيار الثاني: تيار النخبة أو ما يعرف بالكتلة الليبرالية

وقد ضمت هذه الكتلة في صفوفها خريجي المدارس الفرنسية والجامعات في الجزائر من أطباء وصيادلة وصحفيين وقضاة ومحامين ومعلمين ومترجمين، وتبنى هذا

التيار الأفكار الغربية مثل: الحداثة والحرية والجمهورية والمساواة، ولم يرفع أنصار هذه الكتلة أبداً شعار الجزائر للجزائريين، بالمقابل قبلوا تجنيد أبناء الجزائر في الجيش الفرنسي، والحصول على الجنسية الفرنسية والاندماج في المجتمع الفرنسي، ولكن بشرط أن ينال الجزائريون حقوق الفرنسيين، وقد شبه بعض الكتاب والمؤرخين هذه الكتلة بجماعة تركيا الفتاة أو مصر الفتاة ، ولكن النخبة الجزائرية تختلف عن النخبة التونسية في أن الأخيرة كانت تتخذ موقفاً معادياً للاستعمار الفرنسي المحتل لكلا البلدين (5).

والتقت الكتلة الليبرالية مع كتلة المحافظين بعدة نقاط مثل: المطالبة بتمثيل نيابي أوسع للجزائريين في البرلمان الفرنسي في الجزائر، وتوزيع عادل للضرائب بين الفرنسيين والجزائريين، وإلغاء القوانين الاستثنائية الخاصة بسكان البلاد الأصليين التي كانت جائرة بحقهم (6).

2- أهم التيارات السياسية التي عرفتها الجزائر في مرحلة البحث

علينا أن نقدم لمحة توضيحية* عن التيارات السياسية التي عرفتها الساحة الجزائرية في مرحلة البحث إذ يمكننا أن نبينها في النقاط الآتية:

أ- تيار النخبة أو الكتلة الليبرالية

أطلق عليها أيضاً حركة الشبان الجزائريين أو الجزائر الفتاة. تألّف هذا التيار في عام 1913 مع الأمير خالد بن الهاشمي (7) حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الشخصية الجزائرية المعروفة في النضال العسكري ضد الاستعمار الفرنسي، كان الأمير خالد يلقي المحاضرات في باريس، ويطالب بإدخال إصلاحات سياسية على نظام الحكم الفرنسي في الجزائر. تمكن الأمير خالد من استلام منصب مسؤول الإعلام في حركة الشبان الجزائريين(8) نظراً لشهرته وموقفه الوطني ودفاعه عن الجزائر ضد سلطات الاحتلال الفرنسي.

ب- التيار الإصلاحي

تزعم هذا التيار الأمير خالد بن الهاشمي عام 1919، إذ يمثل هذا العام البداية الحقيقية لنشاط الأمير خالد السياسي، لأنه شهد انقسام حركة الشبان الجزائريين على نفسها في مسألة الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية التي أيدها الأمير خالد، وتزعم التيار المنشق عن الشبان الجزائريين أو النخبة، وأطلق عليه اسم الإصلاحي(9).

ج- حركة أنصار الاندماج

يمثل هذه الحركة الدكتور محمد صالح بن جلول (10)الذي درس في مدارس مدينة قسنطينة الجزائرية، وتخرج في جامعة الجزائر الفرنسية طبيباً عام 1924، وانتخب مستشاراً بلدياً في مدينة هربيون الواقعة بالقرب من مدينة قسنطينة، ثم انتخب عام 1931 عضواً في مجلس مدينة قسنطينة العمومي. أسس ابن جلول اتحاد فيدرالية لمنتخبي مدينة قسنطينة المسلمين الجزائريين (Fédération des élus musulmans algériens). نادى ابن جلول بسياسة الاندماج مع الفرنسيين، ولكن حزبه لم يكن يعبر عن الغالبية العظمى من الشعب الجزائري(11).

بلغ ابن جلول أقصى نفوذه عندما انتخب عام 1936 رئيساً للمؤتمر الإسلامي الأول الذي ضم معظم التيارات السياسية الجزائرية، وفي عام 1938 طرد من رئاسة المؤتمر، واتهم بالتعاون مع فرنسا، وقام في العام نفسه بتأسيس حركة سياسية أطلق عليها اسم: التجمع الفرنسي –الإسلامي الجزائري(12).

د- حزب أو جمعية نجم شمال افريقية

تأسس هذا الحزب في 26 حزيران عام 1926 في بيئة العمال الجزائريين الشعبية في باريس، وذلك بفضل جهود الحاج علي عبد القادر(13) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، وأصبح الحاج علي رئيساً للحزب ومصالي الحاج(14) أميناً عاماً، وبسبب اهتمام الحاج عبد القادر وانشغاله بالتجارة تنازل عن زعامة الحزب لمصالي الحاج عام 1928. أقدمت فرنسا على إغلاق مكاتب حزب نجم

شمال افريقية في 20 تشرين الثاني عام،1929 لأنّها لم ولن تقبل برنامج الحزب الذي طالب بالاستقلال التام للجزائر عن فرنسا، فما كان من مصالي إلاّ العمل بسرية تامة وتغيير اسم حزبه إذ أطلق عليه اسم نجم شمال أفريقيا المجيد(15). كشفت سلطات الاحتلال أمر الحزب وقامت بحله وإغلاق مكاتبه في 26 كانون الثاني عام 1937وذلك بسبب نشاطه السياسي المناهض لفرنسا ولسياستها العدوانية العنصرية في الجزائر، لكن هذه التهديدات لم تخف مصالي الحاج فأعلن في 11 آذار عام 1937 عن تأسيس حزب جديد أطلق عليه اسم حزب الشعب(16). بالمقابل، أصدرت السلطات الفرنسية قراراً بإلغاء حزب لشعب بتهمة التعامل مع ألمانيا، واعتقلت 28 شخصية من الحزب بما فيهم زعيمه مصالي الحاج، وحكم عليه بالسجن ست عشرة سنة، والنفي عشرين عاماً، ودفع غرامة مالية كبيرة (17).

ر- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

هي حركة سياسية جزائرية أسسها عبد الحميد بن باديس (18) في الخامس من أيار عام 1931، وكان لها قاعدة شعبية لا مثيل لها في تاريخ الجزائر، ومع أنّها حركة سياسية إلا أنّها كانت في الوقت نفسه ذات رسالة ثقافية واجتماعية لأنّها نادت بإحياء التراث والثقافة، ومحاربة البدع، وبناء المدارس التي تدرس الدين والتراث واللغة العربية، كما حاربت الجمعية الطرق الصوفية والبدع والزوايا، لأنّها وجدت فيها حجرة عثرة في طريق تقدم الجزائر، كما أصدرت الجمعية جرائد عدّة ناطقة باسمها كتب فيها أعضاء الجمعية وغيرهم من ممثلي التيارات السياسية الجزائرية أهمها المنقذ والشهاب والدفاع والبصائر (19).

و- الحزب الشيوعي الجزائري

بدأت بذرة هذا الحزب في المؤتمر الذي عقده الحزب الشيوعي الفرنسي في مدينة ليون الفرنسية عام 1920 الذي دعا النخب الشيوعية في المستعمرات، ومثل الوفد الجزائري شارل أندريه جوليان (20)، وكان الوفد مكوناً من فرنسي الجزائر. بدأ جوليان

بعد عودته للجزائر ينفّذ وصايا المؤتمر القاضية بإنشاء فروع في المستعمرات عرفت باسم الفيدراليات الشيوعية، وكانت المجموعة الشيوعية الأولى في الجزائر فوضوية ومحدودة تتألف من 15 عضواً، وكانت تفتقد إلى التنظيم والتنسيق (21). تشكلت فيدرالية الشيوعية الجزائرية رسمياً عام 1924 وتحولت الى حزب شيوعي جزائري في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي الذي عقد عام 1935 في مدينة فيللوربان الواقعة في الضاحية الجنوبية لمدينة ليون الفرنسية (22).

ولمعرفة النضال السياسي الذي خاضته الجزائر اخترنا شخصية وطنية جزائرية كانت تنادي بالاندماج مع الاحتلال الفرنسي، هذه الشخصية هي شخصية المناضل فرحات عباس، وتناولنا دوره في النضال السياسي الجزائري في مراحل حياته المختلفة عندما كان طالباً ثانوياً ثم جامعياً، وكذلك دوره في النضال السياسي بعد تخرجه في الجامعة وانخراطه الفعلي في العمل السياسي وتأسيس حزب خاص به ثم تشكيل حزب جبهة مع غيره من المناضلين السياسيين الجزائريين وبينا بالتفصيل دوره القيادي في الإسهام في تحرير الجزائر من براثن الاستعمار الفرنسي وذلك عام 1962.

3- التعريف بفرحات عباس

ولد فرحات عباس في قرية الطاهير التابعة لمدينة جيجل الواقعة في المنطقة الشرقية من الجزائر، وذلك في 24 آب عام 1899، وكان والده سعيد بن أحمد عباس يشغل وظيفة قائد في الإدارة الاستعمارية الفرنسية، مكنته من توفير حياة مقبولة لعائلته التي تتكون من اثنا عشر فرداً، ومع هذه الوظيفة الراقية التي كان يشغلها والد فرحات، إلا أنّ الأخير كان يقول في كتاباته إنّه نشأ وسط العوز والفاقة والحرمان (23)، وكان تضامنه مع الفلاحين ليس عاطفياً فحسب بل حيوياً يجري في دمه وعروقه(24).

وعندما غزت قوات الاحتلال الفرنسي مدينة جيجل عام 1851 بقيادة الكولونيل سانت أرنو (Sait Arnau)، فقد جده أحمد عباس أراضيه كلّها اثر استكمال قانون

المشيخة عام 1874الذي صادر أراضي القبائل التي شاركت في ثورة بلاد القبائل الصغرى بقيادة محمد المقراني والشيخ الحداد(25).

كان والد فرحات عباس رجلاً متوسط الذكاء، لكنه استطاع أن يتحول مع مرور الزمن من مجرد فلاح فقير إلى تاجر له مكانته الاجتماعية بمدينة جيجل، وكان ذلك بعد تعرّف والد عباس على فرنسي يدعىDe star de Feigi" ديستار دو فيجي " الذي كان يشغل منصب المستشار الفرنسي العام لمدينة جيجل. اشترك الرجلان في تجارة المواشي، الأمر الذي مكّن والد فرحات عباس من شراء أربعين هكتاراً من الأراضي الزراعية الصالحة لزراعة القمح، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى لجأ والد عباس إلى استئجار أراض جديدة في منطقة جيجل ممّا مكّن عائلته من استعادة مكانتها الاجتماعية التي تدهورت عام 1871 اثر القضاء على ثورة المقراني والمصادرات التي اتبعتها حكومة الاحتلال الفرنسي لأراضي الفلاحين.

تمكّن والد فرحات عباس بسبب غناه أن يصل إلى وظيفة قائد في الإدارة الاستعمارية الفرنسية، ولكن فرحات عباس كان يتجنب الحديث عنها ، بل على النقيض كان يصف والده بالإقطاعي الذي يعاقب الفقير بصرامته، ولم يأخذ فرحات عباس من صفات والده سوى ارتباطه بالتقاليد الإسلامية واعتداله الليبرالي(26).

توجه فرحات عباس – عندما بلغ سن العاشرة من العمر– للدراسة في المدرسة الفرنسية الأهلية في قريته الطاهير عام 1909، وبدخوله هذه المدرسة المغلقة على الغالبية العظمى من الأطفال الجزائريين ، ابتعد عباس عن وسط الفلاحين الذي نشأ فيه، وكذلك عن مظاهر الثقافة الجزائرية الشعبية التقليدية كلّها، وانتقل فرحات عباس – بعد إنهاء دراسته في المدرسة الفرنسية الأهلية – لمتابعة دراسته في مدينة جيجل. وكان احتكاكه الأول مع المدينة والبحر الذي فرض سحره عليه كما قال عنه بنيامين ستورا (27)، واحتك عباس بمدرسة جيجل الفرنسية بالفرنسيين والأوروبيين، ودخلت إلى ذاكرته أفكار المقاومة، والدفاع عن الذات، إذ بدأ فرحات عباس يقرأ كثيراَ من الكتب المدرسية

التي كانت تتحدث عن فرنسا كنموذج من الحرية، ومثالاً يحتذى به لحقوق الإنسان، وكان يقرأ في الدليل المدرسي آنذاك مثلاً:" كانت فرنسا تريد أن يصبح الأطفال العرب أكثر علماً من الفرنسيين" (28). ولكن ليس ما يكتب كلّه يعبّر عن الحقيقة، والدليل لم يجد فرحات عباس من الحرية والمساواة والأخوة التي كانت تمثل شعارات الثورة الفرنسية، وكان عباس يقرأها عن فرنسا، ولكن لا يطبق منها أي شيء على أرض الواقع، ويبدو لنا أنّ عباس كان يكابر ويعطي نفسه فرصة لعل فرنسا تُغّير من سياستها وتعطي الجزائريين أحد حقوقهم التي اغتصبتها وهي المساواة بالوظائف، وتمثيل الشعب الجزائري في البرلمان الفرنسي بالجزائر، ولكن أحلام عباس ذهبت أدراج الرياح، مّما دفعه لتغيير سياسته تجاه فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية.

كان لاطلاع الشاب عباس على بعض الكتابات الفرنسية أن تكون شعور حسن تجاه فرنسا و كانت سخية تجاه الشعوب التي خضعت لها، ولكن هذه المدرسة لم تكن خالية من السلبيات، وكانت التفرقة موجودة بين التلاميذ العرب والفرنسيين، كما كانت اللغة العربية مهمشة.

انتقل فرحات عباس بعد الدراسة في مدينة جيجل للدراسة في مدرسة فيليب فيك في مدينة سكيكيدة والتقى فيها بأطفال القواد* والحالمين مثله بوظائف إدارية يحققون بها أحلامهم في الرقي الاجتماعي، انتقل عباس عام 1914 إلى ثانوية قسنطينة(29). وأخذ يقرأ لكبار المفكرين والأدباء الفرنسيين أمثال فولتير وديديزو صاحب الأفكار البرجوازية الليبرالية المعادية للكنيسة، وديديرو صاحب معجم عصر الأنوار وأناتول فرنس وغيرهم(30).

وفي عام 1921 حصل فرحات عباس على شهادة البكالوريا، والتحق بالخدمة العسكرية الإلزامية في الجيش الفرنسي ، وبعد عامين أنهى الخدمة العسكرية وانتقل إلى العاصمة الجزائر حيث سجل في كلية الصيدلة في جامعة الجزائر، ولكنه كان يتردد على كلية الآداب أكثر من كلية الصيدلة، وذلك لحضور دروس الأستاذ غوتييه، وفي

عام 1931 تخرج صيدلياً في كلية الصيدلة، ومارس مهنة الصيدلة مدة قصيرة اذ عاد إلى مدينة سطيف في شرق الجزائر وفتح صيدلية فيها عام 1932.

4- النشاط السياسي لفرحات عباس خلال دراسته الجامعية

عندما دخل فرحات عباس الجامعة لدراسة الصيدلة كان الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري يمثل الرمز الأعلى للنشاط السياسي للشباب الجزائري آنذاك، اذ كان زعيماً لحركة الشبان الجزائريين التي ظهرت للوجود عام 1908، وكانت بمنزلة حركة نخبوية، تتكون من المثقفين الجزائريين خريجي المدارس الفرنسية والموالين لفرنسا، وكان بعضهم متأثراً بفكرة النهضة العربية، وذلك بعد زيارة محمد عبدو للجزائر عام 1905(31).

لم تكن حركة الشبان الجزائريين حزباً سياسياً بقدر ما كانت عبارة عن تجمع لبعض المثقفين الجزائريين كان لهم مطالب اجتماعية أولاً ثم سياسية، وكانت مطالبهم قد انحصرت في الاندماج في الأمة الفرنسية بشرط الاحتفاظ بمقومات الشخصية الوطنية الإسلامية الجزائرية، بالمقابل كان هناك تيار اندماجي كامل لا يضع شروطاً للذوبان في الأمة الفرنسية يمثله شريف حبيلس * صاحب كتاب" الجزائر الفرنسية" الذي دعا فيه إلى التخلي عن هذه القيم التي عدّها عائقاً أمام التقدم، وبين هذين الموقفين اختار فرحات عباس بالطبع وبذكاء تيار الأمير خالد الذي برز كأعظم شخصية جزائرية في حينها في الحركة الوطنية الجزائرية الفتية، وذلك بعد أن قدم مطالب الشبان الجزائريين ولخصها في النقاط الرئيسة الآتية:

1- العمل على إزالة النظام الاستعماري الفرنسي.

2- إلغاء القوانين الاستثنائية والتفرقة جميعها.

3- تمثيل السكان الجزائريين أهل البلاد الأصليين في مجالس سلطات الاحتلال الفرنسي جميعها(32).

كان فرحات عباس يقرأ بانتظام جريدة الإقدام التي كان يصدرها الأمير خالد ويكتب فيها، كما كان يناقش أفكار المثقفين البربر والعرب المتأثرين بالثقافة اللاتينية، وعلى خلاف هؤلاء عرف فرحات عباس منذ شبابه كيف يحقق التوازن والدمج بين الإسلام والمدنية الغربية، فاقترب كثيراً من الأمير خالد، بالمقابل لم يفقد الصلة مع الفئات الشعبية، فاصطبغت دعوته للاندماج بالاعتدال مقارنة برفاقه الذين كانوا يطالبون الذوبان الكامل بالثقافة الفرنسية(33).

وعلى خلاف بن حبيلس لم يحتقر فرحات عباس وسطه التقليدي، بل كان يؤمن ويطالب باحتفاظ المواطن الجزائري بأحواله الشخصية في أثناء الاندماج بالحضارة الفرنسية، وإعطاء الفئات الشعبية فرصة للتخلص من بؤسها نهائياً، وهذا ما يفسر إقدامه على نشر مقالاته في جريدة الإقدام التي كان يشرف عليها الأمير خالد والتي كانت تولي اهتماماً كبيراً بقضايا مرتبطة بحالة الفئات الشعبية، ولم تكن تتراجع أو تبدي أي موقف عندما يتعلق الأمر بتوجيه النقد اللاذع للإدارة الاستعمارية الفرنسية، لذلك كان فرحات عباس يريد أن يصبح جزائرياً فرنسياً لكن ليس بنكران أصالته والتخلي عن مبادئها، لذلك ظهر عباس في الثلاثينيات من القرن العشرين مثقفاً جاداً يؤمن بالحداثة، وفي الوقت نفسه مسلماً متمسكاً بقيمه الإسلامية(34).

لذلك كتب عباس في مؤلفه" الشاب الجزائري": "لا يوجد في القرآن ما يمنع الشاب الجزائري أن يصبح فرنسي الجنسية، فهو يملك أذرعاً قويةَ، وذكاءَ متقداَ وقلباً رحيماً، ووعياً بالتضامن، ليس ثمة شيء إلا الاستعمار(35).

ففرحات عباس كان يؤمن بسياسة المراحل التي تبدأ بمرحلة المدرسة، ثم الطريق، ثم المستشفى، وكان يطالب بأن يكون من حق التلاميذ الجزائريين جميعهم دخول المدرسة الفرنسية، ويجب أن تكون هناك مدارس بنسب عادلة للسكان الأصليين، بمعنى يجب أن يكون هناك ستة آلاف مدرسة لمجموع الطلاب الجزائريين البالغ عددهم أربعين ألف طالب، وفي الوقت نفسه يجب إعطاء المدارس التي تدرس باللغة العربية

أهمية لا تقل عن المدارس التي تدرس باللغة الفرنسية، لأنّ اللغة العربية – بحسب فرحات عباس هي التي تستطيع إعطاء تربية إسلامية–، بالمقابل أعطى عباس أهمية للمدارس المهنية، ففي الوقت الذي لا يستطيع الفلاح أن يعيش من تربية الماشية واستغلال الأراضي، وهذا يؤدي بدوره إلى اختلال التوازن الاجتماعي يجب على الحكومة أن تعلمه العمل، بحيث يمكن أن يصبح بناءً أو نجاراً أو ميكانيكياً أو صياداً أو بحاراً، فالمسألة تعود هنا إلى بناء المدارس المهنية(36).

أمّا فيما يتعلق بمرحلة الطريق، فالجزائر تمتلك نظاماً رائعاً للطرقات فقد ربطت مراكز الاستعمار وضياع المعمرين كلها بالطرق الوطنية الكبرى، فالطريق هو عون المدرسة، ومدرسة دون طريق هي مدرسة ميتة، فبفضلها يغير المواطن الجزائري وسائل نقله ويضاعف نشاطه ومبادلته، وبالنتيجة للطريق أهمية أساسية في البلاد. وأخيراً تأتي مرحلة الطب فالإسعاف الطبي غير موجود في الجزائر، غير أنه يجب مداواة الأهالي وتقديم الخدمات الطبية لهم، ولا يمكن أن نتوقف عند المستشفيات في المدن الكبرى، فكل قرية ودوار يجب أن يكون فيها مستوصف، كما يجب أن يكون لكل بلدية مستشفى لكل خمسة آلاف نسمة، ومستوصف لكل ثلاثة آلاف نسمة، كما يجب زيادة عدد الأطباء والأطر الطبية المساعدة لخدمة المواطن(37). فعندما نقرأ ما كتبه فرحات عباس في كتابه الشاب الجزائري نستنتج مدى نشاطه السياسي عندما كان طالباً في مرحلة دراسته من جهة، وهدفه الوطني في تحرير الجزائر من التفرقة العنصرية، والقضاء على فكرة تفوق الغالب على المغلوب، ومحو الأسطورة القائلة آنذاك إن الأوروبيين متحضرون في حين الجزائريون متخلفون، فنضال فرحات عباس يتلخص في تلك المرحلة ببناء جزائر حرة يسودها العدل والمساواة، ومن أجل تحقيق ذلك يجب على فرنسا إعطاء الفرصة للجزائريين لكي يتعلموا ويحصلوا على الجنسية الفرنسية ويتحسن مستواهم الاجتماعي (38)، لكي يسهموا في بناء حضارة بلدهم، ويعملوا على إدماجها

في الحضارة الفرنسية لكي تخرج حضارة فرنسية عربية إسلامية بشرط المحافظة على الشخصية الجزائرية وقانون أحوالها العربية الإسلامية.

كان فرحات عباس منذ بداية طريقه السياسي حتى استقلال الجزائر من الشخصيات السياسية المهمة التي اتصفت بالاعتدال والنضال السلمي للتخلص من القوانين الفرنسية الجائرة، فقد انتسب عباس منذ صغره إلى فيدرالية المنتخبين للسكان الأصليين في الجزائر(la fédération des élus indigènes d'Algérie) التي أسسها الدكتور محمد صالح بن جلول، وكانت تضم عدداً من الشخصيات الجزائرية المثقفة بالثقافة الفرنسية، كما كانت تعدّ نفسها ممثلة للجزائريين في البلديات والمجالس العامة والمجلس المالي، وعندما عقدت هذه الفيدرالية أول اجتماع لها في الجزائر العاصمة في شهر أيلول عام 1927 حضر هذا الاجتماع ما يزيد على 150 شخصية سياسية جزائرية، وصدر عن هذا الاجتماع بيان رسمي حددت فيه هذه الفيدرالية مطالبها من الحكومة الفرنسية التي يمكننا إجمالها في النقاط الآتية:

1- تمثيل السكان الجزائريين في البرلمان الفرنسي.

2- المساواة في الأجور والمنح والعلاوات بين السكان الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين.

3- المساواة في مدة الخدمة العسكرية بين أبناء الجزائريين وأبناء المستوطنين الأوروبيين.

4- إلغاء تأشيرة الذهاب إلى فرنسا بالنسبة الى الجزائريين، وذلك من أجل العمل.

5- إلغاء قانون الأهالي الذي يفرض عقوبات شديدة على الجزائريين.

6- توفير التعليم والتدريب المهني لأبناء الجزائر الأصليين.

7- تطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية في الجزائر.

8- إعادة تنظيم الدوائر الانتخابية ومراجعة قانون عام 1910 الذي يجري تطبيقه(39).

وبتحليل مطالب فيدرالية الجزائر التي كان فرحات عباس أحد أعضائها البارزين نجد أنّها ركزت على مساواة مع المستوطنين الأوروبيين في قانون الخدمة العسكرية والعمل وغيرها، في حين لا تطالب باستقلال الجزائر الذي كانت تطالب به الأحزاب اليسارية مثل: حزب نجم شمال افريقية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

5- النضال السياسي لفرحات عباس قبيل الحرب العالمية الثانية

كانت المرحلة الممتدة بين عامي 1932 و 1935 مرحلة اضطراب في الجزائر اذ تمثلت بصعوبات اقتصادية كبيرة تجاوزت الإدارة الاستعمارية الفرنسية، كما تمثلت بمظاهر احتجاجية ضد السياسة العنصرية الفرنسية في مجالات الحياة جميعها، والتشدد في مطالب الأحزاب السياسية.

فمن الناحية الديمُغرافية تزايد عدد سكان الجزائر تزايداً ملموساً، وأصبح هذا التزايد السكاني يهدد الوجود الأوروبي في الجزائر، كما أصبح وضع الفلاحين منذراً بالخطر بدءاً من عام 1933 بسبب مضاعفات الأزمة الاقتصادية العالمية*، الأمر الذي أدى إلى انخفاض الأسعار وانهيار السوق الريفية، إذ أقدم التجار المضاربون على شراء محاصيل الفلاحين الجزائريين بأسعار زهيدة.

ودعا الناشطون السياسيون إلى تنظيم المظاهرات إذ انطلقت المظاهرة الأولى في 24 شباط عام 1933 وبدأت تخرج من مسجد مدينة الجزائر منددةً بقرار الحاكم الفرنسي العام بمنع علماء الدين من الخطبة في المساجد، كما رفض منتخبو مدينة قسنطينة المشاركة في احتفالات ذكرى الثورة الفرنسية في 14 تموز عام 1933، واستقال عدد منهم، كما قامت في مدينة الجزائر مظاهرة في شباط عام 1933، واضرب العديد من العمال الجزائريين إلى جانب عدد من العمال الأوروبيين، وفي أيار عام 1934 نظّمت مظاهرات في المدن الجزائرية الرئيسة مثل: تلمسان، وعنابة، وجيجل، وبسكرة وقالمة تطالب بإلغاء القوانين الخاصة وتلبية مطالب الجزائريين (40).

ونشبت في مدينة قسنطينة في صيف 1934 مشادة بين اليهود والمسلمين أثر قيام أحد اليهود بالتبول على جدار مسجد الأخضر في المدينة اذ كان بحالة من السُكْرِ، فقام المسلمون بمهاجمة بيته بالحجارة ورد عليهم اليهود بالمثل، وقد جرح خلال هذه المشادة حوالي ثلاثين شخصاً من الطرفين، بالمقابل تدخل محمد صالح ابن جلول وزعيم جمعية العلماء عبد الحميد بن باديس واستطاعوا تهدئة النفوس، ولكن بعد يوم فقط أي في الخامس من شهر آب عام 1934 نشبت مشادة أكثر قوة وعنفاً من الأولى بين اليهود والمسلمين، ولم تتدخل الشرطة الفرنسية لفضها، بل تركت الأمور تجري في أعنتها، وأسفر هذا التصادم بين الطرفين عن مقتل 23 يهودياً وأربعة مسلمين، بدوره استنكر فرحات عباس الاتهامات التي وجهها المستوطنون الأوروبيون للمسلمين بأنّهم معادون للسامية، واتصل مع رئيس جمعية الصداقة اليهودية– المسلمة في مدينة قسنطينة إيلي غوزلان للتعبير عن أواصر الصداقة والتعاون بين الطائفتين الأمر الذي أدى إلى تهدئة الخواطر والنفوس، وفي الوقت نفسه نشر فرحات عباس مقالاً في جريدة (L'entente) اعتبر فيه أنّ معاداة السامية هي نتاج عدم المساواة أمام القانون بين المسلمين واليهود...، كما يمكن إرجاع هذه الأحداث المأساوية التي حرّكت الروح الوطنية لدى الجزائريين إلى مخلفات الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم منذ عام 1925، وأثرت في النسيج الاجتماعي الجزائري في العمق فجميع ففئات المجتمع الجزائري جميعها عرفت البؤس(41).

وانتخب فرحات عباس في شهر تشرين الأول عام 1934 في المجالس العامة نائباً لمدينة سطيف، الأمر الذي زرع الذعر في صفوف المستوطنين الأوروبيين في الجزائر الذين كانوا يرتابون من تنقلاته المستمرة إلى باريس لعرض الأوضاع الحقيقية التي تعيشها الجزائر، وفضح تجاوزات المستوطنين وعنصريتهم أمام الرأي العام الفرنسي. وعرف عن فرحات عباس في هذه المرحلة تبنّي نوع من الراديكالية تميزت بها خطاباته، واختمرت لديه فكرة تأسيس حزب يعبّر عن طموحات الجزائريين، ففي شهر شباط عام

1935دعا قدور صاطور أحد أعضاء فيدرالية المنتخبين إلى ضرورة تأسيس حزب يمثل المسلمين الجزائريين للمطالبة بالحقوق والمواطنة الفرنسية كلّها بشرط الاحتفاظ بالشخصية الجزائرية الإسلامية، وعقد أول اجتماع في شهر نيسان من العام نفسه في مدينة سطيف، حضره عدد من أنصار عباس وزملائه، وقد اتّفق في هذا الاجتماع على محتويات التصريح السياسي للإعلان عن ميلاد هذا الحزب، والإعداد لحملة دعائية لنقل الفكرة ونشرها بين الأوساط الشعبية، وعقد اجتماع آخر في 17 تشرين الثاني عام 1935 وافق فيه المستشارون العامون الجزائريون الممثلون لمدينة قسنطينة على فكرة تأسيس الحزب واتفقوا على تحديد مبادئه التي تمحورت حول النقاط الرئيسة الآتية:

1- ترقية أوضاع الجزائريين ضمن المدنية الفرنسية.

2- التعايش بين مختلف الأعراق دون التمييز بالجنس والدين.

3- تحقيق السلم الاجتماعي.

4- حرية العبادة والمعتقد.

وأخيراً اقترح فرحات عباس تسمية الحزب الاتحاد الشعبي من أجل حقوق الإنسان (Union populaire Algérien pour les droits de l'homme) (42).

ومع أنّ هذا الحزب لم يكن ثورياً ، إلا أنّه استطاع – بناء على توجيهات فرحات عباس– أن ينقل عمل المنتخبين من القيام بدور الوساطة بين القاعدة الشعبية الجزائرية والإدارة الاستعمارية الفرنسية، إلى مستوى العمل السياسي الحقيقي والمستقل الذي يعبّر عن طموحات الجزائريين، وكان عباس يؤمن بأنّ الهدف الحقيقي من تأسيس هذا الحزب لم يكن تكويناً سياسياً بل تمثيلاً برلمانياً يعمل على الانتقال من فكرة الاندماج إلى مطلب التمثيل والتعبير عن طموحات الجماهير الكادحة، وعندما التقى فرحات عباس مع مارسيل رينيه وزير الداخلية الفرنسية عام 1935قال له: " عليكم بتطبيق مشروع بلوم – فيوليت الذي يقضي بمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين(43) سيدي الوزير، فأجابه الوزير قائلاً: " لكن ماذا عن أحوالكم الشخصية... نحن لا نريد

المساس بالدين الإسلامي في الجزائر، فرد عباس قائلاً: " إن الإسلام لا يعيق التقدم ... والاندماج يعني المساواة والمواطنة ضمن المبادئ الجمهورية" (44).

وقعت في أيار عام 1935 حرب كلامية بين عباس وجمعية العلماء المسلمين بزعامة عبد الحميد بن باديس، وذلك عندما كتب عباس تقريراً وجهه إلى وزير الداخلية الفرنسية جاء فيه: " إنّ الواقع الوحيد الموجود هو أنّ الجزائر عبارة عن مقاطعة فرنسية وجزء لا يتجزأ من الأمة الفرنسية"، فموقف عباس المناصر لمشروع بلوم – فيوليت الذي مات قبل ولادته دفعت بجمعية العلماء المسلمين إلى رفع إعلان حربهم الكلامية المعادية له (45).

كان فرحات عباس يؤمن بوجود وطنين في الجزائر: الأول ثقافي والثاني روحي، وكان يقول: " إن الفكر الفرنسي أساس حياتنا الأخلاقية، ولكن يبقى الإسلام إيماننا الخالص والعقيدة التي تعطي للحياة معنى وطننا الروحي " (46).

وأحدث المقال الذي نُشر كافتتاحية في جريدته L'entente الفرنسية–الإسلامية يوم 7 شباط 1936 بعنوان " على هامش الوطنية " : فرنسا هي أنا. أحدث ردود فعل عنيفة من قبل جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري. إذ أنكر في هذا المقال وجود الوطن الجزائري والقومية الجزائرية إذ قال: " لو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنياً، فالرجال الذين ماتوا من أجل طموحهم الوطني، يكرمون ويحترمون، على أنّي لم أمت من أجل الوطن الجزائري، لأنّ هذا الوطن لا وجود له، فإني لم أعثر عليه، سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر فلم يحدثني عنه أحد ..... " (47).

وقد رد عبد الحميد بن باديس زعيم جمعية العلماء على فرحات عباس مؤكداً وجود الأمة الجزائرية في مقال نشره في مجلة الشهاب الناطقة باسم جمعية العلماء في نيسان عام 1936، كما تساءلت جريدة الأمة الناطقة باسم حزب الشعب الجزائري: كيف بإمكان مثقف مسلم أن يعبّر عن هذه المواقف التي عدّتها شنيعة. فطرحت مسألة الوطنية وربطتها باستقلال الكيان الجزائري كمطلب لكل الجزائريين قبل أن يكون إشكالية

تاريخية، فأمام هذه الانتقادات اللاذعة لمقال فرحات عباس فضل الأخير التريث ورفض وضع حد للتحالف مع العلماء وبقية الأحزاب الجزائرية– رغم انتقادها – لأنّه كان يحضر للمؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في 7 حزيران عام 1936 في مدينة الجزائر، وذهب عباس بنفسه إلى مقر جريدة الشهاب لتفسير موقفه السياسي.

وقع في عام 1936 حدثان مهمان في تاريخ الجزائر وفرنسا على حدّ سواء، الحدث الأول – هو وفاة الأمير خالد رائد الحركة الوطنية الجزائرية ومؤسس حركة الشبان الجزائريين، والثاني – هو وصول الجبهة الشعبية الفرنسية للحكم في فرنسا.

فالحدث الأول حرك الروح الوطنية لدى الجماهير الشعبية الجزائرية، فتعالت الأصوات مطالبة بتوحيد الشعب الجزائري في نضاله السياسي ضد الاستعمار الفرنسي ، ورأى ابن باديس مؤسس جمعية العلماء الجزائريين أنّ مسألة القانون السياسي تهم الجزائريين جميعهم، وأنّه لا بدّ من عقد مؤتمر جزائري يضم الأحزاب السياسية جميعها للنظر في مشروع بلوم– فيوليت الذي طرحته الحكومة الفرنسية القاضي بمنح الجنسية الفرنسية لآلاف المنتخبين الجزائريين والأعيان، ولقيت فكرة عقد المؤتمر موافقة محمد صالح بن جلول وفرحات عباس والأمين العمودي، في حين رفضها مثقفو جريدة " الوضعاء" La voix des humbles الذين اتهموا العلماء والنخب بالولاء للعروبة المتأججة في المشرق العربي (48).

على أية حال، دعا ابن باديس ابن جلول زعيم فيدرالية المنتخبين الجزائريين إلى عقد مؤتمر إسلامي ومناقشة الإصلاحات السياسية في الجزائر، وشارك في هذا الاجتماع فرحات عباس والسيد محمد عزيز تسوس، وتم التوصل إلى عقد اجتماع تحضيري في 6 حزيران 1936 بنادي الترقي بالجزائر العاصمة ، ثم انعقد المؤتمر الإسلامي الأول في اليوم التالي أي في 7 حزيران في قاعة الماجستيك (الأطلس) في حي باب الواد* في مدينة الجزائر ،وانضم للمؤتمر فضلاً عن فيدرالية المنتخبين الجزائريين وجمعية العلماء الحزب الشيوعي الجزائري وحزب نجم شمال أفريقية (49).

وهنا بدت جمعية العلماء بأنّها تحولت إلى حزب سياسي كان هدفها خلق جبهة إسلامية مثلما أسس الفرنسيون الجبهة الشعبية (50).

خرج المجتمعون في المؤتمر الإسلامي الأول ببرنامج سياسي موحّد تمحورت بنوده في النقاط الرئيسة الآتية:

1- إلغاء القوانين الاستثنائية.

2- الكف عن محاربة اللغة العربية وعدّها على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية.

3- فصل الدين عن الدولة.

4- المساواة في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين.

5- إعلان العفو السياسي في الجزائر.

6- المحافظة على الشخصية الجزائرية وتطبيق القانون الإسلامي الجزائري.

7- إلغاء الولاية العامة ومجلس المندوبين الماليين ونظام البلديات المختلطة وإلحاق الجزائر بفرنسا مباشرة.

8- التعليم الإجباري للبنين والبنات وبناء المدارس الكافية لاستيعاب الطلاب.

9- توزيع القروض والإعانات على الفلاحين (51).

سافر عباس بعد المؤتمر إلى باريس ضمن وفد برئاسة ابن جلول لعرض ميثاق المؤتمر الإسلامي الأول على حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية، حيث استقبلوا من قبل رئيس الحكومة الفرنسية ليون بلوم ثم موريس فيوليت وزير الدولة، وكذلك استقبلوا من قبل بول موخ سكرتير رئيس الجمهورية الفرنسية.

وقد وعد رئيس الحكومة الفرنسية الوفد الجزائري بالنظر في المسألة الجزائرية بعدالة وإنسانية وصداقة، وفي 23 تموز التقى بعض أعضاء الوفد الجزائري وهم فرحات عباس وابن باديس بمصالي الحاج العائد من منفاه في جنيف، وانتقد مصالي الحاج خلال هذا اللقاء وبشدة ميثاق المؤتمر الإسلامي، وعدّه كوسيلة جديدة مطبوخة على الطريقة الفرنسية غرضها تقسيم الشعب الجزائري وعزل النخب عن الجماهير. في حين

دافع فرحات عباس خلال اللقاء عن الاندماج فيما بقي مصالي الحاج متمسكاً بفكرة الاستقلال (52).

كما تحرك اللوبي الاستعماري الفرنسي للعمل على إسقاط مشروع بلوم – فيوليت ونجح في إفشاله، وترافق ذلك مع اغتيال مفتي الجزائر ابن علي محمود في ظروف غامضة، واتهم الشيخ العقبي عضو جمعية العلماء من قبل السلطات الفرنسية بتدبير عملية الاغتيال، وكتب عباس بهذا الخصوص مقالاً في جريدة الدفاع نادى به بضرورة إصلاح العدالة، وتزامن ذلك بانسحاب ثلاثة آلاف منتخب في مدينة قسنطينة بعد أن عدّوا أنّ مهمتهم انتهت، وعبروا عن رغبتهم بالتمثيل الأحادي في البرلمان الفرنسي، مطالبين بإلغاء البلديات المنتخبة، كما قرروا وضع حد للتعاون مع السلطات الفرنسية والضغط عليها للموافقة على مشروع بلوم – فيوليت (53). بالمقابل، صرحت جمعية العلماء في هذه الظروف الحرجة بالكف عن المطالبة بتطبيق مشروع بلوم – فيوليت، ،أنهم لا ينتظرون شيئاَ من فرنسا الخاضعة لأهواء مجموعة من المستوطنين الأوروبيين في الجزائر، وتحول ابن باديس – أحد أركان المؤتمر الإسلامي– في نضاله السياسي، وأصبح قريباً من طروحات مصالي الحاج فيما يتعلق بمشروع بلوم – فيوليت الذي بقي حبراً على ورق، وقد أدى إخفاق المؤتمر الإسلامي الأول إلى صعود نجم مصالي الحاج من خلال حزب الشعب الذي أسسه في الحادي عشر من آذار عام 1937 (54).

إن إخفاق المؤتمر الإسلامي الأول في معالجة المسألة الجزائرية جعل تطور الحركة الوطنية الجزائرية أمراً واقعاً لا مفر منه، وظهر موقف حزب الشعب الجزائري قوياً اذ أحدثت فروع له بلغت في عام 1937 31 فرعاً في المدن الجزائرية الرئيسة ما عدا فروعه في فرنسا، وشمل الانتساب إلى صفوفه العمال والتجار الصغار والشباب الجزائريين(55).

انعقد المؤتمر الإسلامي الثاني في تموز عام 1937 بغياب محمد صالح بن جلول وذلك بعد أن صادقت لجنة المؤتمر على تنحيته من رئاسة المؤتمر بتهمة التآمر مع فرنسا، وكذلك لم يحضر فرحات عباس هذا المؤتمر، بالمقابل، توصل المؤتمر الإسلامي الثاني إلى اتخاذ قرارات شجاعة وحاسمة، وطلب إلى المنتخبين الجزائريين توقيف نشاطاتهم كلّها في الجمعيات الاستثنائية بدءاً من 22 آب ،وذلك للضغط على البرلمان الفرنسي للمصادقة على مشروع بلوم –فيوليت.

كان إخفاق مشروع بلوم بمنزلة صدمة لفرحات عباس ومحمد صالح بن جلول وللعناصر المثقفة باللغة الفرنسية والمؤيدة لسياسة الاندماج مع فرنسا كلّها، الأمر الذي دفع هؤلاء للعمل على توحيد الصف ومعارضة المستوطنين الأوروبيين بصفة جماعية، وأسس مسؤولو هذه الحركات حزباً أطلقوا عليه اسم: " التجمع الإسلامي – الفرنسي الجزائري، وقد اقترح ابن جلول في شباط عام 1938 إرسال وفد ممثل لهذا الحزب إلى باريس من أجل إقناع الحكومة الفرنسية أن تعيد النظر في موضوع الإصلاحات السياسية، لكن فرنسا تجاهلت هذا الموضوع لأنها بدأت تولي أهمية قصوى لبدايات الحرب العالمية الثانية، بالمقابل لم تخرج الأحزاب الجزائرية المتحالفة بخطة موحدة أو مشتركة، وكانت مواقفها من هذه الإصلاحات متباينة لدرجة أنّها أصبحت بعيدة عن بعضها بعضاً (56).

تغيّرت أوضاع الجزائر كثيراً عشية الحرب العالمية الثانية، وأصبح مصالي الحاج رائداً للنضال السياسي الجزائري، وفي هذه الأثناء راودت فرحات عباس أفكار انهزامية كالانسحاب نهائياً من الحياة السياسية، وذلك بعد تعنت حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية التي علق عليها عباس آمالاً كثيرة ولكن دون جدوى، لكن عباس سرعان ماعدل عن فكرة الاستقالة من الحياة السياسية بسبب تدخل عدد من أصدقائه وإقناعه بالكف عن الاستقالة، وبدأ يتحول في أفكاره المطالبة بالاندماج إلى مطالبة الحكومة الفرنسية

بالفيدرالية، ونتيجة لهذا التطور في أفكار عباس ابتعد عن ابن جلول واقترب من مصالي الحاج شيئاً فشيئاً.

وجاء انفصال عباس عن ابن جلول في نهاية شهر تموز عام 1938، وأسس كلاً منهما – في العام نفسه – حزباً سياسياً، فأسس عباس حزب: " التجمع الشعبي الجزائري، في حين أسس ابن جلول حزب: " التجمع الجزائري – الفرنسي المسلم(57). وفي الوقت الذي ظل فيه ابن جلول وفياً لطروحاته الاندماجية، عدّ حزب فرحات عباس بمنزلة حزب شعبي حمل شعار: " من الشعب وإلى الشعب"، وكان حزباً مفتوحاً على التيارات السياسية الجزائرية جميعها.

وأصبح التغيير في فكر عباس وانتقاله إلى الراديكالية واضحاً من خلال خطاباته ومقالاته التي نشرها في تلك المرحلة، فأحلامه التي تبخرت ظهرت من جديد في برنامج حزبه الذي تمحور حول نقطتين أساسيتين هما:

1- المطالبة بنظام متساو تختفي فيه الامتيازات الفئوية والعرقية.

2- السعي لوضع أسس دولة جزائرية لتكون بمنزلة مقاطعة فرنسية حقيقية تقوم على تصورات المقاطعات الفرنسية نفسها، بالمقابل تمسك بأن تكون الجزائر مقاطعة فرنسية لكن تحتفظ بلغتها وعاداتها وتقاليدها. أمّا فيما يتعلق بالجانب السياسي فقد ركز الحزب على المطالبة بالتمثيل في البرلمان الفرنسي والمجالس العامة، وكذلك إطلاق سراح المساجين السياسيين وفصل الدين عن الدولة، وضمان الحقوق النقابية واستخدام اللغة العربية لغة رسمية في التعليم والصحافة مثل اللغة الفرنسية(58). أما فيما يتعلق بمطالب الحزب الاجتماعية فتمثلت في تحسين مستوى معيشة الفلاحين في المناطق النائية وتحويلها إلى مراكز بلدية وتحديد راتب شهري جيد للعمال. فرائحة الراديكالية كانت تنبعث من مطالب فرحات عباس عن طريق حزبه، وأصبح – كما ذكرنا سابقاً – قريبا في طروحاته من مصالي الحاج، ولكن بكيفية معتدلة، فمصالي الحاج كان يطالب

بإعادة الأراضي للفلاحين في حين طالب فرحات عباس بتحسين وضعهم للحيلولة دون بروز بروليتاريا عمالية بعد نزوح الفلاحين إلى المدن للعمل فيها.

وظل فرحات عباس متمسكاً بما كتبه في كتابه الشاب الجزائري وفياً لارتباطه الروحي بفئة الفلاحين وبذكريات الطفولة التي قضاها بينهم. وانطلاقاً من ارتباطه بالفلاحين يقارن عباس بينه وبين مصالي الحاج ويقول: " ... كان مصالي الحاج يرى الجزائر عبر الأجواء الباريسية والقوانين التي تحمي الحريات في فرنسا، وأنا كنت أراها ضمن إطار الدوار الذي ولدت فيه" (59). وفي خضم هذه التطورات التي كانت تسير لصالح مصالي الحاج انتقد الأخير سياسة الخطوة الصغيرة التي كان ينتهجها عباس، الذي لم يتمكن من إعطاء حزبه الجديد جذوراً شعبية قوية كما كان يحلم، فالزمن زمن مصالي الحاج وحزبه ، بالمقابل هو زمن خيبة الأمل بالنسبة إلى فرحات عباس وفقدانه الأمل في بعض الأفكار السياسية التي نادي بها الشبان الجزائريون منذ عام 1908، والتي روج لها الأمير خالد منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ومارس عباس النقد الذاتي لهذه الأفكار السياسية، ونجح حزب مصالي الحاج " حزب الشعب الجزائري " في انتخابات نيسان عام 1939، وفي 14 تموز عيد الثورة الفرنسية استدعى الحزب منتسبيه فاستجاب لدعوته 25 ألف جزائري رفعوا شعارات: برلمان جزائري – الحرية للجميع – الأراضي للفلاحين – مدارس عربية – احترام الإسلام (60).

بالمقابل، شرع عباس في بداية عام 1939يدعو في حملة واسعة على مستوى المدن الجزائرية جميعها لأفكاره الجديدة، ووجد خلال جولته أنّ غالبية الجزائريين أصبحوا مؤيدين أو منتمين إلى حزب الشعب الجزائري التابع لمصالي الحاج، وفي 14 نيسان 1939 سار نحو 15 ألف جزائري في تشيع جنازة كحال أزرقي عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الذي توفي في سجون الاحتلال الفرنسي، ورددوا نشيد حزب الشعب الجزائري. هذه الأحداث كلّها دفعت عباس إلى تغيير رأيه – كما أسلفنا – وتحول عن سياسة الاندماج مع فرنسا التي كان يطالب بها قبل الحرب العالمية الثانية.

6- النضال السياسي لفرحات عباس في أثناء الحرب العالمية الثانية

توجه عباس وابن جلول – قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية – إلى فرنسا لمطالبة حكومتها بتطبيق المادة الأولى من مشروع بلوم – فيوليت التي تنص على إشراك المسلمين الجزائريين في الانتخابات التشريعية، ولاسيّما أنّ حكومة دولا دييه أبدت نيتها في إمكانية العمل على ذلك، ولكن الأمور اتخذت منحىً غير إيجابي عندما أدرك رئيس الحكومة الفرنسية أنّ مشاركة الجزائريين بالحرب إلى جانب فرنسا مرتبطة بتطبيق مشروع بلوم – فيوليت بالكامل فقال غاضباً: " ... إن لفرنسا ما يكفي من الأسلحة والجنود لحماية إمبراطوريتها الاستعمارية ... ". كما أقدمت السلطات الفرنسية بالتزامن مع اندلاع الحرب على حل حزب الشعب الجزائري في 29 أيلول عام 1939، عندها صرح فرحات عباس قائلاً: " إن الجزائر تستحق أحسن من أن تكون مسرحاً للحرب " وأضاف متحدياً أنّه يجب إلحاق الهزيمة بالاستعمار حتى يظهر ما أسماه الوجه المشرق لفرنسا وأوروبا (61).

وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية جُنِد الشبان الجزائريون لخوضها إلى جانب فرنسا ، وكان مناضلو حزب الشعب هم الوحيدين- من بين الأحزاب الجزائرية جميعها- الذين رفضوا عملية التجنيد الإجباري ورفعوا شعار " فرنسا لم تعطنا أي شيء، فلماذا الموت من أجلها" ، وجاء هذا الرفض بناء على توصيات مصالي الحاج التي صاغها وهو لا يزال في السجن ، والتي كررها عندما خرج من السجن في 27 آب عام 1939، أمّا فرحات عباس فلم يعارض التجنيد وصرح قائلاً: " إنّ مكاني يوجد تحت العلم إلى جانب رفاقي في الجيش" (62). بالمقابل كانت الحرب العالمية الثانية فرصة لملاحقة الوطنين الجزائريين المطالبين بالاستقلال والشخصية الجزائرية، اذ قامت السلطات الفرنسية باعتقال زعماء حزب الشعب وحلته، وشددت الخناق على أنصار جمعية العلماء المسلمين واعتقلت بعضهم، أمّا فرحات عباس فبقي منفرداً في الساحة السياسية

الجزائرية، وأوقف نشاطه السياسي لكي يصرف نفسه لمستقبل أمته التي يتوقف عليها مستقبل الجزائر (63)، وطالب إرساله إلى الجبهة كصيدلي وتم له ذلك.

انهزمت فرنسا في حزيران عام 1940، ودخلت القوات الألمانية باريس منتصرةً، كما أقام الألمان في جنوب فرنسا حكومة موالية لهم سميت حكومة فيشي برئاسة الجنرال بيتان أحد أبطال الحرب العالمية الثانية، بالمقابل كانت دهشة الشعب الجزائري كبيرة وهم يتلقون أنباء هزيمة فرنسا المتتالية فأدركوا كم هي ضعيفة، وعبّر عباس عن حزنه على هذا المصير عندما قال : " منذ حزيران عام 1940 وفرنسا في شقاء، وأبداً لم تكن عزيزة على قلوبنا، وسواء كانت غنية أم فقيرة فستظل فرنسا (64).

فهزيمة فرنسا في الحرب، وضيق أفق المسؤولين في حكومة فيشي، والوضع الاقتصادي المتردي وانتشار البطالة وازدياد الغلاء، وأخيراً نزول الحلفاء في شمال افريقية الذي بدا للجزائريين بمنزلة هزيمة ثانية لفرنسا (65).

وعندما قررت حكومة الماريشال بيتان إلغاء مرسوم كريميو الحاكم الفرنسي في الجزائر الذي منح بموجبها ليهود الجزائريين الجنسية الفرنسية وذلك عام 1870، وساد اعتقاد لدى الفئات الشعبية – التي أبدت إعجابها بألمانية النازية معتقدة أنّها ستخلصهم من فرنسا الاستعمارية– بأن حرمان اليهود من امتيازاتهم سيؤدي حتماً إلى إعادة النظر في أوضاعهم، غير أنّ فرحات عباس كان له رأي مخالف اذ صرح بأنّ تجريد اليهود من امتيازاتهم لا يؤدي حتماً إلى تحسين أوضاع الأهالي (66). وقد عبر عباس عن ذلك بتصريح قاس بقوله: " إن عنصريتكم تذهب في الاتجاهات كلّها اليوم ضد اليهود وفي الحالات كلّها أنتم ضد العرب..."

قرر عباس مقابلة رئيس حكومة فيشي شخصياً عام ،1941 وذلك عن طريق ماكس بونافوس الحاكم العام لمدينة قسنطينة السابق الذي تسلم منصب مسؤول التمويل في حكومة فيشي ، وبالفعل أرسل عباس تقريره لرئيس حكومة فيشي في 10 نيسان عام 1941 بعنوان : جزائر الغد إذ انتقد فيه الإقطاعية الفلاحية، وطالب بسلسلة من

الإصلاحات كما قدم نقداً لاذعاً جاء على شكل محاكمة للاستعمار، كما اقترح عباس في تقريره مخططاً جديداً لتجديد الجزائر قائماً على ترقية الفئات الشعبية، والعمل على إعادة توزيع الأراضي، وإحداث القرض الزراعي ، كما اقترح إلغاء ملكيات الشركات الكبرى و الامتيازات التي تتمتع بها كلّها (67).

جاء رد الماريشال بيتان على تقرير عباس في 4 آب عام 1941 مختصراً بقوله : " سآخذ بالحسبان اقتراحكم "، وكان فرحات عباس ساذجاً هذه المرة أيضاً عندما أخذ ينتظر ويحلم ، وكانت ثقته بكلام المسؤولين الفرنسيين كبيرة، وظن أنّ بيتان سيعمل على ضم الجزائريين إلى صفه عن طريق القيام بالإصلاحات ،وذلك حتى لا يحاربوا إلى جانب المقاومة الفرنسية التي بدأت تتشكل في لندن بقيادة الجنرال ديغول، ولكن رئيس حكومة فيشي المنشغل بالحرب خيب أمل فرحات عباس ،ممّا دفع الأخير للانسحاب من اللجنة المالية الجزائرية (68).

وبعد نزول قوات الحلفاء في مدينة وهران الجزائرية في8 تشرين الثاني عام 1942، وبمبادرة من فرحات عباس وجه المنتخبون رسالة إلى الحلفاء طالبوا فيها تطبيق قانون جديد على الجزائر مستوحى من ميثاق الأطلنطي الذي نص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، إذ عبر بن يوسف بن خدة* عن الأجواء السياسية التي كانت تسود الجزائر بقوله: " إنّ هناك فراغاً سياسيا عشية نزول الحلفاء في الجزائر، فالسلطات الرسمية خاضعة لمراقبة أتباع الماريشال بيتان، وكان أتباع الجنرال ديغول يحاولون تنظيم أنفسهم " . وحسب بن خدة فانّ الأمين دباغين كان قد أبلغه أنّ البوادر الأولى للبيان الجزائري الذي كتبه فرحات عباس في 10 شباط عام 1943 ظهرت في مدينة سطيف، لأنّ أغلبية السياسيين الجزائريين من أمثال: عباس، والهادي مصطفاوي ممثل الدكتور ابن جلول ، وأحمد مايزة من جمعية العلماء، والأمين دباغين ممثل حزب الشعب المحظور آنذاك، كانوا حاضرين (69).

ولكن على السياسيين الجزائريين تجنب الأخطاء ولاسيّما أنّ مواقفهم كانت متباينة ، ويجب الوصول إلى موقف مشترك من ذلك ، ولكن كيف يتحقق ذلك وابن جلول يؤيد حكومة فيشي والألمان ، وعباس يبدي ميولاً للحلفاء بعد أن تأكد من انتصارهم، في حين كان غالبية السياسيين الجزائريين يفكرون حسب المثل القائل : عدو عدوك صديقك.

فوسط هذه التناقضات اقترح الأمين دباغين على عباس فكرة تحرير وثيقة بعنوان: " إلى قوة الاحتلال مهما كانت" اذ حررها شخصياً وسلمها إلى فرحات عباس، علماً منه أن عباس سيتحفظ على راديكاليتها وتطرفها(70).وأخيراً توصل الأمين دباغين إلى إقناع فرحات عباس بالتمسك ببعض المطالب مثل: إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وخاصة مصالي الحاج الذي أُعترف به قائداً وطنياً جزائرياَ، وحملت الوثيقة توقيع كلّ من : فرحات عباس ممثلاً عن حزبه، والأمين دباغين ممثلاً عن حزب الشعب الجزائري ، والشيخ أحمد مايزة ممثلاً عن جمعية العلماء والهادي مصطفاوي ممثلاً لحزب ابن جلول، وكذلك توقيع الدكتور أحمد فرنسيس صديق فرحات عباس. وقال بن خدة: انّ الأمين دباغين اتصل بعد ذلك بابن جلول في قسنطينة طالباً منه ألاّ يتخذ أي إجراء يقضي على وحدة صف الزعماء السياسيين الجزائريين، فوافق ابن جلول وكان من أنصار الوثيقة التي سماها بن خدة " ما قبل البيان" والتي سلمت نسخة منها لممثلي الحلفاء في الجزائر.

وهنا أدرك عباس بأنّ الأمريكيين سيقررون مصير العالم من الآن فصاعداً، ويقضون على الإمبراطوريات الاستعمارية التي ستسقط حتماً اذ اتصل بالجنرال الأمريكي روبير مورفي بعد الإنزال في العاصمة الجزائر في 8 تشرين الثاني عام 1942،وقال عباس لرفاقه في النضال مثل : أحمد أبو منجل ، وشوقي مصطفاوي ومحمد ممشاوي : " عندي وعود من الأمريكيين وسنشكل حكومة، وأضاف قائلاً : " لأجل هذا علينا أن نُحضر ما نقدمه لهم حتى نتوصل إلى تحديد أهم مطالبنا" . وبالفعل حضر عباس ورفاقه في 22 كانون الثاني عام 1942 وثيقة أخذت شكل نداء للأمم المتحالفة ، موجهة

باسم الشعب الجزائري وسلمت نسخة منها للحاكم العام الفرنسي للجزائر، اذ طالبت بربط تحرير الجزائر السياسي بتحرير فرنسا وكذلك المطالبة بقانون سياسي جديد يقوم على العدالة الاجتماعية(71)، ولكن الأمريكيين كالفرنسيين خدعوا عباس، ولم يحصل منهم إلا على الوعود، فاستقلال البلاد لا يتحقق إلا عن طريق أبنائها سواء بالسلاح أم بالعمل السلمي، وكلاهما برأي متلازمان والسلاح أقوى، لأنّ الاستعمار دخل بقوة السلاح ولا يخرج إلا به. انتظر عباس ورفاقه عدة أيام دون الحصول على رد على رسالتهم الموجهه للحاكم العام الفرنسي في الجزائر، الأمر الذي دفع عباس إلى إرسال رسالة ثانية للحاكم في17 كانون الثاني عام 1943 طالب بها بضرورة إنهاء النظام الاستعماري في الجزائر، وحذر مّما اسماه الخطر القاتل إذا لم تستجب السلطات الاستعمارية لمطالبه، لكن الحاكم العام فضل الصمت لأنّه لم يكن راضياً عن اتصالات عباس بالأمريكيين، بالمقابل أكد عباس له في رسالة ثانية أنّ التحرر السياسي للجزائر لن يكون إلا ضمن الإطار الفرنسي، ولكن عباس لم يتلق رداً إيجابياً، إذ قال جيرو ممثل المقاومة الفرنسية في الجزائر للوفد الجزائري : " أنا لست سياسياً بل رجل حرب" ويبدو أنّ الأمريكيين قد أكدوا للجنرال الفرنسي جيرو بأنهم سيكفون عن استقبال الوطنيين الجزائريين، وأنّ الجنرال مورفي قد وافق على فكرة احتفاظ دول الحلفاء بمستعمراتهم (72).

وعلى الرغم من تعنت الفرنسيين والحلفاء، أجرى عباس اتصالات مع الحاكم الفرنسي الجديد للجزائر مارسيل باروتون الذي كان مقتنعاً بضرورة إضفاء الطابع الليبرالي على النظام الاستعماري، وطلب إلى فرحات عباس العمل على إعداد مشروع إصلاحات، وعلى الفور التقى عباس بكل من: الأمين دباغين والعربي التبسي وأحمد توفيق المدني في منزل أحمد أبو منجل، وتحدث الجميع عن مشروع الإصلاحات التي يجب أن يقدمها عباس إلى الحاكم الفرنسي العام، وقد جرى لقاء ثان بين هذه الشخصيات وعباس في السابع من شهر شباط عام 1943، وبعد ثلاثة أيام على هذا اللقاء حرر فرحات عباس مشروع الإصلاحات في بيته وعنونه: "أمام الصراع الدولي بيان الشعب الجزائري"،

وذكرت كثير من المصادر التاريخية في حينها، أنّ اختيار عباس لمصطلح البيان على الطريقة الماركسية كان مقصوداً، وفعل ذلك حتى يظهر أمام الجميع أنّه تحول في أفكاره ومواقفه السياسية نحو الراديكالية، وهذا ما عبّر عنه صديقه أحمد أبو منجل بقوله : " إن البيان كان عبارة عن نضال سياسي سيحدث القطيعة مع الاندماج الذي تبنته النخب " .(73)

كانت ولادة بيان الشعب الجزائري الذي حرره عباس كانت نتيجة حتمية لتقاطع آراء الزعماء الوطنيين الجزائريين الذين يمثلون المنتخبين المعتدلين والعلماء والوطنيين من حزب الشعب الجزائري.ندّد البيان بالاستعمار، وطالب بتطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومنح الحريات الأساسية، كما طالب البيان بسلامة التراب الجزائري واستقلالية سياسية للجزائر، وعدّها أمة ذات سيادة، واقترح البيان أيضاً فوراَ إسهام الجزائريين في الحكومة والإدارة، والمساواة في المجالس المحلية بين الجزائريين والفرنسيين (74). ويمكننا أن نعرض مطالب بيان الشعب الجزائري الذي قدمه فرحات عباس في النقاط الآتية:

1- إدانة الاستعمار وإلغاؤه الذي هو شكل جماعي من أشكال الاستعباد الفردي في القرون الوسطى، ويشكل من ثمّ أحد الأسباب الرئيسة للنزاعات وإشعال الحروب بين الدول العظمى.

2- تطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على البلدان جميعها صغيرة كانت أم كبيرة.

3- صياغة دستور خاص بالجزائر يضمن مايلي:

أ- الحرية والمساواة المطلقتان بالنسبة إلى سكانها جميعاَ دون تمييز على مستوى الجنس أو الدين.

ب-إلغاء الملكية الإقطاعية الكبيرة بإصلاح زراعي يضمن الحق بالرفاهية للغالبية العظمى من العمال والفلاحين.

ج- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في الجزائر إلى جانب اللغة الفرنسية.
د- حرية العبادة بالنسبة إلى السكان جميعهم ، وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة.
4- المشاركة الفورية والفعلية للجزائريين في حكومة بلادهم.
5- إطلاق سراح المعتقلين السياسيين المحكوم عليهم (75).

ونفهم من بيان الشعب الجزائري بأنّ إخفاق سياسة المطالبة بالاندماج يعود إلى تعنت المعمرين، ورفضهم لمشاريع الإصلاح جميعها مفضلين نظاماً عنصرياً يقوم على التهميش والإخضاع، وبذلك وضع البيان حداً لأسطورة المهمة الحضارية لفرنسا في الجزائر، فلا علاقة للاستعمار بالروح الإنسانية والعدالة والحضارة التي يبتعد عنها كل البعد، فهو ظاهرة إمبريالية وشكل من أشكال العبودية كونه يركز على وجود مجتمعين أحدهما يُخضع الآخر لسيطرته (76).

وبعد لقاء فرحات عباس مع مصالي الحاج زعيم حزب الشعب بعد خروجه من السجن – بعد إصدار العفو الفرنسي عن السجناء السياسيين جميعهم حوكموا في عهد حكومة فيشي- في ليلة يوم 26 نيسان من العام 1943في مدينة سطيف حيث يقيم عباس، وبحضور ممثلي الأحزاب السياسية الجزائرية جميعهم: (التجمع الشعبي الجزائري) بزعامة عباس، و(حزب الشعب) بزعامة مصالي الحاج، و(جمعية العلماء) بزعامة البشير الإبراهيمي، (الحزب الشيوعي) الجزائري بزعامة موريس لا بور، تحاور الزعماء الأربعة في كيفية وضع إستراتيجية مشتركة والعمل على إيجاد موقف موحد بالنسبة الى القضايا التي تهم مصير البلاد ومستقبلها(77). وقد أضاف هؤلاء الزعماء الى البيان الجزائري ثلاث نقاط رئيسة سميت فيما بعد بملحق البيان، وجاءت هذه الإضافات بعد سلسلة من النقاشات التي دارت بين عباس والحاج في منزل عباس في مدينة سطيف، وذلك قبل اجتماع 26 نيسان بين زعماء الأحزاب السياسية الجزائرية (78) ، وأطلق عليها ملحق البيان إذ نلاحظ اختفاء بعض المطالب التي تصدم الملاكين الكبار، مثل الإصلاح

الزراعي الكبير وإلغاء الملكية الإقطاعية ، وأعطت هذه الإضافات البيان معنى أكثر راديكالية واستقلالية، ويمكننا أن نجملها بالنقاط الآتية:

1- ضمان سلامة وحدة التراب الجزائري.

2- الاعتراف باستقلال الجزائر السياسي وعدّها أمة ذات سيادة.

3- حق فرنسا في المراقبة والمساعدة العسكرية للحلفاء في حالة الحرب.

4- إنّ قيام الدولة الجزائرية لا يمنع أن ينظم مع دولتي تونس والمغرب الأقصى اتحاد دول شمال افريقية.

يعترف ملحق البيان بنوعين من الإصلاحات : أحدهما يمكن تأجيله وتنفيذه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، الذي يتمثل في قيام الدولة الجزائرية المستند إلى عقد مجلس تأسيسي جزائري يضع دستوراً للبلاد، أمّا القسم الثاني من هذه الإصلاحات فمن الممكن أن يطبق حالياً دون أن يؤثر في المجهود الحربي الفرنسي ويتضمن ما يأتي:

1- تأسيس حكومة جزائرية تتألف من عددٍ متساوٍ من الوزراء الجزائريين والفرنسيين يرأسها الحاكم الفرنسي العام الذي سيشغل حينها منصب سفير مندوبا لفرنسا في الجزائر.

2- المساواة في عدد الجزائريين والفرنسيين في المجالس المنتخبة.

3- إعطاء الدوائر إدارة ذاتية مستقلة.

4- يحق للمجلس الوصول إلى وظائف الدولة العامة جميعها بما فيها وظائف السلطة.

5- إلغاء القوانين الاستثنائية جميعها.

6- المساواة في الخدمة العسكرية بالنسبة إلى جميع، وأن يكون للفرق العسكرية الجزائرية علمها الخاص فيها.

وتمحورت المطالب الاجتماعية والاقتصادية حول إنشاء ديوان للفلاحة، ووزارة للعمل وإلغاء التعليم الخاص وحرية التعليم بالعربية ،وحرية الاعتقاد، وحرية الصحافة (79).

يعدّ هذا البيان وملحقه قفزة نوعية بالنسبة إلى فرحات عباس الذي غيّر موقفه السياسي فورياً تجاه فرنسا، ولهذا قال لوكيل المحافظ :" سأكون وزيراً أم مشنوقاً " (80).

وعندما دخل الجنرال ديغول منتصراً إلى الجزائر في 30 آذار عام 1943 صرح قائلاً : " تقوم قاعدة الوحدة الوطنية على مبدأ سيادة فرنسا الكاملة على أنحاء إمبراطوريتها ... " (81)، وفي 10 حزيران من العام نفسه قدّم عباس إلى الجنرال ديغول نسخة بيان الشعب الجزائري ، فوجده يتعارض مع سياسة عباس الاندماجية التي طرحها ديغول على الجزائريين، فهل يقبل فرحات عباس هذه السياسة التي عرضها الجنرال ديغول ؟ أجل هذا أصبح مستحيلاً بالنسبة إلى عباس، وأصبح الاندماج مع فرنسا قضية تجاوزها الزمن . كما أظهر عباس تشدداً كبيراً فيما يتعلق بالاندماج، من جهته تشدّد حاكم الجزائر العام كاترو معتبراً أنّ مسألة دولة جزائرية فيدرالية مع فرنسا كما اقترح فرحات عباس غير ممكن، إذ بين بأنه سيقف بالمرصاد للذين يسعون لتحطيم الوحدة الفرنسية، بالمقابل أبدى استعداده للنظر في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان الجزائريين، ولكن ضمن الإطار الفرنسي ، والسيادة الفرنسية (82).

قرر فرحات عباس في شهر نيسان عام 1943 – بعد أن رفضت السلطات الفرنسية مشروع بيانه – أن يتقرب من مصالي الحاج زعيم حزب الشعب ومن زعيم جمعية العلماء المسلمين البشير الإبراهيمي ومن الحزب الشيوعي الجزائري، وبدأ يعمل معهم على إنشاء تحالف جزائري موحد يعمل ضد الجالية الأوروبية في الجزائر وذلك عندما رفض الحاكم الفرنسي العام كاترو بيان الشعب الجزائري، وكان عباس يرمي من هذا التحالف استقطاب مصالي الحاج بالدرجة الأولى، إذ زاره في سجنه قبل إطلاق سراح الأخير في 26 نيسان عام 1943 بالعفو الذي أصدرته فرنسا عن السجناء السياسيين الذين حوكموا في عهد حكومة فيشي .

جاء رد عباس وزملائه الجزائريين في المجلس المالي الذي انعقد في 22 أيلول عام 1943 اذ قرروا مقاطعة اجتماع المجلس، وأعلنوا تمسكهم بالمطالب التي جاءت في

بيان الشعب الجزائري ، وجاء رد الحاكم العام كاترو على هذه المقاطعة، بأن أصدر أوامره بإلقاء القبض على فرحات عباس والشيخ عبد القادر رئيس مجموعة النواب الجزائريين في المجلس المالي، ووضعهما تحت الإقامة الجبرية بحجة تحريضهم النواب على العصيان وقت السلم. كما أصدر بياناً بتنحية النواب العرب من المجلس المالي ،ولكنه تراجع تحت ضغط النواب الأوروبيين، بالمقابل أصر على بقاء عباس والشيخ عبد القادر قيد الإقامة الجبرية حتى20 كانون الأول عام، 1943بعدما تحرك الرأي العام الجزائري، وتأزم الوضع في الجزائر بسبب اعتقالهما بطريقة تعسفية (83).

التقى مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري بفرحات عباس في مدينة سطيف حيث يقيم الأخير، وضم اللقاء أيضاً البشير الإبراهيمي زعيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموريس لابور أحد أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري، واتفقوا جميعاً على وضع استراتيجية مشتركة ،واتخاذ موقف موحد من القضايا المصيرية التي تهم أبناء الجزائر (84). كما اتفقوا على إصدار وثيقة مشتركة تعبّر عن إرادتهم القوية للعمل على تأسيس دولة جزائرية ووضع دستور لجمهورية جزائرية مستقلة وعدّها فيدرالية مرتبطة بفرنسا، وأطلقوا على بيانهم الذي صدر في 14 آذار عام 1944 اسم : " أصدقاء البيان والحرية "، إذ وافق عباس على اقتراح مصالي الحاج القاضي بإلغاء منصب الحاكم الفرنسي العام في الجزائر، وتحوله إلى سفير، وبذلك استطاع عباس أن يؤسس حركة وطنية جمعت أهم الأحزاب السياسية على الساحة الجزائرية وتزعمها بنفسه، متخذاً من استقلال الجزائر وتأسيس دولة جزائرية شعاراً لها، وبدأ يعمل منذ ذلك الوقت على توسيع قاعدة حزبه في الأوساط الشعبية الجزائرية (85).

أصدرت كتلة أصدقاء البيان جريدة المساواة، وطالب فرحات عباس في عددها الأول الجمهورية الفرنسية بالعمل ضد الإمبريالية والاستعمار، وعرفت هذه الكتلة–بحسب بعض التقديرات – إقبالاً شديداً من قبل سكان الجزائر، وقد بلغ عدد المنتسبين إليها مايقارب 500000 ألف منتسب خلال أسابيع عدّة (86). وعقد اجتماع بين عباس ومصالي بين

20–24 شباط عام 1945 وأسفر اللقاء الذي حضره ممثلون عن جمعية العلماء عن إصدار بيان مشترك ركز على الجنسية الجزائرية ،واتحاد الأحزاب السياسية الجزائرية، ومقاطعة الانتخابات الفرنسية المقبلة.

كما عقدت حركة أنصار البيان والحرية مؤتمراً بين 2–4 آذار عام 1945حاول خلاله أنصار حزب الشعب فرض أحد أتباعهم خلفاً لفرحات عباس، كما أظهرت جماعة مصالي الحاج رفض فكرة الفيدرالية مع فرنسا الأمر الذي دفع الحاكم الفرنسي العام إلى اتخاذ قرار بحل حركة أنصار البيان والحرية في 10 آذار عام 1945، ونتج عن ذلك قيام أنصار مصالي الحاج بتوزيع مناشير بعد أسبوعين من حل الحركة تدعو إلى التمرد على السلطات الفرنسية ، فأصدرت الأخيرة أوامرها باعتقالات داخل أنصار البيان، وفي الوقت نفسه عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على زرع الفتنة والانشقاق داخل صفوف حركة أنصار البيان والحرية حينما أعلمت عباس أنّ أعضاء حزب الشعب الموجدين في حزبه يعملون لصالح مصالي الحاج (87). بالمقابل دعا فرحات عباس أمام تدهور هذه الأوضاع إلى التحلي بالصبر والهدوء، وعلى نقيض موقف عباس عدّ أنصار حزب الشعب أنّ ساعة الحقيقة قد حانت أخيراً، وبدؤوا ينتظرون التعليمات من قيادتهم لتنظيم تمرد شامل ضد الفرنسيين وطردهم من البلاد، وكانت الأمور تتجه نحو القطيعة بين الفئات الشعبية والبرجوازية المحلية التي فضلت الاعتدال والتريث، وفي الوقت نفسه كانت تقارير الشرطة والجيش الفرنسيين تشير إلى أن أحداثاً ستقع.

حاول فرحات عباس أمام هذه التصعيد تفادي مسؤولية أحداثَ عنفٍ محتملة، وهو يعرف مسبقاً أنّ الدعوة إلى الهدوء لم تجد آذاناً صاغية أمام زحف شعبية مصالي الحاج(88).كان كل شيء ينبئ بحدوث انفجار ولا مناص من ذلك، وحذرت الفئات الشعبية وأنصار عباس الإدارة الاستعمارية الفرنسية من مغبة ما سيحدث إذا لم تستجب لمطالب أنصار البيان والحرية ، وبالفعل قررت قيادة حركة أنصار البيان والحرية تنظيم

مظاهرات كبيرة لاستنكار نقل مصالي الحاج إلى برازافيل في جنوب افريقية في31 نيسان عام 1943.

ومنعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الأول من أيار عام 1945تجمعاً شعبياً عزمت حركة أنصار البيان والحرية تنظيمه في منطقة القصبة في الجزائر العاصمة، وبعد مشادات مع قوات الشرطة سقط على أثرها ثلاثة قتلى وعشرة جرحى، وفي اليوم نفسه سارع نحو خمسة آلاف جزائري إلى حضور الاجتماع الذي يضم في قاعة الاحتفالات مرددين شعار " أطلقوا سراح مصالي الحاج" (89).

في الحقيقة، فكر حزب الشعب في تنظيم مظاهرات كبيرة دعا فيها الشعب الجزائري للاحتفال بانتصار الحلفاء والقوى الديمقراطية على النازية، وكان فرحات عباس متحمساً لهذه المظاهرات ،لكنه كان ينتظر موافقة الإدارة الاستعمارية الفرنسية عليها، بالمقابل، لم ينتظر قادة حزب الشعب صدور قرار السلطات الفرنسية لأنّهم كانوا بحسب قولهم يعرفون أنّ جواب الإدارة سيكون بالرفض، وهنا فلتت الأمور من يد عباس وأنصاره ،وذلك عندما أصدر قادة حزب الشعب تعليمات للتظاهر في الثامن من آذار عام 1945 تأييداً لانتصار الحلفاء على النازية وتحرير فرنسا من الاحتلال الألماني، وحملوا لافتات كتب عليها : " من أجل تحرير الشعوب، أطلقوا سراح مصالي الحاج، لتسقط الإمبريالية، تحيا الجزائر، تحيا الجزائر المستقلة " (90).

بتعبير آخر، بدأت المظاهرات في مدن سطيف وقالمة وخراطة الواقعة في الجزء الشرقي من الأراضي الجزائرية، ثم امتدت بسرعة لتشمل كامل التراب الجزائري، وخرجت الفئات الشعبية للتعبير عن فرحها بانتصار الحلفاء على النازية، ومطالبة الحكومة الفرنسية بالوفاء بوعودها في منح الجزائريين استقلالهم، ورفع العلم الوطني الجزائري، ولكن كان رد السلطات الفرنسية والأوروبيين بإطلاق النار على المتظاهرين وقد نتج عن ردة فعل هؤلاء الوحشية ما يأتي :

1- استشهاد نحو 45 ألف جزائري من الأبرياء ممن شاركوا بالمظاهرات واعتقال الآلاف الآخرين.

2- أصدرت سلطات الاحتلال الفرنسي قراراً بحل حزب الشعب أنصار البيان والحرية.

3- إلقاء القبض على فرحات عباس ونحو 4560 من مختلف مدن الجزائر.

4- مقتل نحو 104 من المستوطنين الأوروبيين.

5- مطالبة الأوربيين بإعدام المتسببين في أحداث أيار الدامية (91).

الخاتمة:

يتبّن لنا من خلال هذه الصفحات التي عرضناها الجهد الكبير الذي بذله فرحات عباس في سبيل تحرير الجزائر عن طريق المفاوضات الدبلوماسية التي كانت أداتها القلم والطاولة لا السلاح حتى بعد دخوله في جبهة التحرير الوطني الجزائري، ويمكننا أن نميز دورين لهذا الزعيم الوطني الجزائري هما :

الدور الأول : بين الحربين العالميتين منذ كان طالباً ثانوياً وجامعياً ، وكذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، اذ كان يركز على التعايش السلمي الجزائري في جمهورية فرنسية بشرط حصول الجزائريين على الحقوق التي يحصل عليها المستوطنون الأوروبيون، وكانت خطاباته وندواته جميعها تتمحور حول هذا الطرح، بمعنى آخر كان فرحات عباس بطرحه هذا نصف فرنسي، ولكن عدم استجابة سلطات الاحتلال لمطالبه واندلاع الحرب العالمية الثانية دفع عباس إلى تغيير رأيه في فرنسا وخاصة بعد خروج فرنسا خاسرة من الحرب.

الدور الثاني : تبناه فرحات عباس بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية،اذ انفرد في الساحة السياسية الجزائرية بعد إقدام فرنسا على حل الأحزاب السياسية جميعها وسجن أغلب قادتها، وقدّم عباس – بعد أن استشار زعماء الأحزاب السياسية الجزائرية – بيان الشعب الجزائري وملحق البيان إلى قوات الحلفاء عندما نزلت على الأراضي الجزائرية، كما قدّم نسخة من البيان وملحقه إلى حاكم الجزائر الفرنسي اذ طالب عباس بالمساواة بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين بالحقوق والوجبات، وتسليم الأراضي للفلاحين وإعلان استقلال الجزائر بعد نهاية الحرب، وتوقيع اتفاق بين الجزائر وفرنسا يقوم على أساس دولتين جزائرية وفرنسية ، ولكن السلطات الفرنسية لم تستجب لهذه المطالب الأمر

الذي دفع فرحات عباس إلى تغيير نهجه السياسي تجاه فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، اذ تحول إلى نصف جزائري كما يحلو لبعض الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أن يصفوه. ربما وجد عباس التاريخ والوطن الجزائريين الذين كان ينكرهما بين الحربين، إن عدم استجابة سلطات الاحتلال الفرنسي لطلبات عباس دفعه للالتحاق بالثورة الجزائرية المسلحة، لأنّ الاستعمار لا يفهم إلا بلغة السلاح ، وبرأي هذا أمر طبيعي فمن دخل محتلاً بقوة السلاح لا يخرج إلا بقوة السلاح، هذا هو حال الشعب الجزائري الذي بقي يناضل سلمياً وعسكرياً إلى أن انفجرت ثورته الكبرى في تشرين الثاني عام 1954، واستمرت حتى نالت الجزائر استقلالها عام 1962 بفضل تضحيات مئات آلاف الشهداء الجزائريين.

الهوامش:

1- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص61.

2- المرجع نفسه، ص62.

3- فارس، محمد خير: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2002-2003، ص518.

4- أبو القاسم: الحركة الوطنية ...، ص151.

5- فارس: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر...، ص518.

6- المرجع نفسه، ص 519.

* وردت في البحث كثير من الأسماء والمواقع لا نستطيع أن نعرفها كلها واقتصرنا في تعريفنا على بعض الأسماء التي كانت فاعلة في الحياة السياسية الجزائرية، وبعض المواقع الرئيسة التي لها صلة مباشرة بالبحث، فعدد صفحات البحث أصبحت كثيرة ويشغل التعريف بالأسماء حيزاً كبيراً منها (الباحث).

7- ولد خالد بن الهاشمي في مدينة دمشق في 20 شباط عام 1875. رحل برفقة والده، والتحق بمدرسة سان سير العسكرية في باريس ثم عاد إلى الجزائر عام 1895حيث تخرج برتبة ضابط في الجيش الفرنسي، انتسب الأمير خالد إلى حركة الشبان الجزائريين عام 1913، وبرز كأعظم شخصية فيها اذ تمكن من استلام مكتب الإعلام فيه، اشترك في الحرب الكونية الأولى لكنه سرعان ما أعفي من الخدمة العسكرية بسبب إصابته بالسل الرئوي، بدأ عمله السياسي الرسمي بسبب الخلاف الذي حدث في حركة الشبان الجزائريين والذي تمحور حول تصميم الأمير خالد الاحتفاظ بالأحول الشخصية الجزائرية في حال أعطي الجزائري الجنسية الفرنسية، الأمر الذي لم يقبله أغلب رفاقه في حركة الشبان الجزائريين، فانشق عنهم وأسس الحزب الإصلاحي عام 1919، وفاز بالانتخابات البلدية والمندوبين الماليين للعام نفسه، في حين أخفق منافسوه من مرشحي الإدارة

الاستعمارية الفرنسية، اعتزل الأمير العمل السياسي عام 1923 باتفاق مع سلطات الاستعمار، وذهب إلى دمشق، ثم عاد إلى الجزائر عام 1924، ثم عاد إلى دمشق معتزلاً العمل السياسي وبقي فيها حتى وافته المنية عام 1936 (حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر دون تاريخ ،ص290)

8- Namir , Akil: Histoire d'Algérie contemporaine, Paris , 2003, p. 407.

9- Ageron, Charles Robert: Les algériens musulmans et la France 1871-1919, Paris, P.U.F, 1968, p. 154-1055.

10- ولد محمد صالح بن جلول بمدينة قسنطينة الواقعة شرق دولة الجزائر، وذلك عام 1896، وكانت عائلته ثرية، تلقى تعليمه الأول في المدارس الفرنسية في قسنطينة، ثم ذهب إلى باريس حيث درس الطب، وتخرج في الجامعة عام 1922، عاد على قسنطينة وعُيِّنَ مستشاراً بلدياً في هربيون، وهي مدينة بالقرب من قسنطينة ثم انتخب مستشاراً لمجلس مدينة قسنطينة العمومي، أسس ابن جلول عام 1933 فيدرالية قسنطينة للمنتخبين الجزائريين وأصبح رئيساً لها، بلغ ابن جلول أقصى مناصبه عندما انتخب رئيساً للمؤتمر الإسلامي الذي انعقد في 7حزيران 1936 وضم أغلب التيارات السياسية الجزائرية، ولكنه أبعد عن رئاسة المؤتمر عام 1938 اذ اتهم بالتعاون مع فرنسا، ولكنه أسس في العام نفسه من شهر تموز التجمع الفرنسي–الإسلامي الجزائري، وبقي يعمل بالسياسة حتى استقلال الجزائر حيث ابتعد بعد عام 1962 عن الحياة السياسية حتى وافته المنية عام 1986.(لمزيد من المعلومات انظر محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830–1954) 0

11- بوحوش، عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص231.

12- عبد القادر، حميد: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر بدون تاريخ، 72.

13- ولد الحاج عبد القادر في دوار السعادة الواقعة الواقع بالقرب من مدينة غليزان في الجزائر عام 1883، كان متوسط الثقافة باللغتين العربية والفرنسية، هاجر إلى فرنسا وعمل بالتجارة وحصل على الجنسية الفرنسية، انتسب إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وتدرج بالمراتب حتى أصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب ورئيساً لإحدى خلاياه، وذلك بين عامي 1924-1925، كان الحاج عبد القادر المؤسس الحقيقي لحزب نجم شمال افريقية تنازل لمصالي الحاج عن زعامة الحزب عام 1928 بسبب انشغاله بالتجارة، انقطعت أخباره بعد تركه للحزب توفي عام 1957(لمزيد من المعلومات انظر منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية).

14- ولد مصالي الحاج في مدينة تلمسان في 16 أيار عام 1898في أسرة من فقراء الفلاحين، عانى مصالي الحاج طفولة سيئة بسبب فقرة أسرته، اذ غادر المدرسة واقتحم الحياة العملية ثم عاد إلى المدرسة ثانية، وكان يتردد على زاوية الحاج محمد بن باديس التابعة للطريقة القادرية، غادر مصاليس الحاج عام 1916 المدرسة الفرنسية وجند كغيره من أبناء الجزائريين لخوض الحرب العالمية الأولى باسم فرنسا، عاد بعد نهاية الحرب إلى تلمسان عام 1921، ثم تركها وهاجر عام 1923 إلى فرنسا حيث زوال عدة مهن حرة، وتابع في الوقت نفسه دروسه في جامعة السوربون في مدرسة اللغات الشرقية، ولما أسس الحاج عبد القادر حزب نجم شمال افريقية في 26 حزيران 1926 انضم إليه وشغل منصب الأمين العام للحزب، وبسبب انشغال الحاج عبد القادر بالتجارة أصبح مصالي الحاج زعيماً للحزب، بدأ مصالي نضاله منذ انعقاد مؤتمر بروكسل عام 1927، اذ طالب بالتحرر الكامل سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، واستمر يردد هذه المطالب اذ أقدمت سلطات الاحتلال على إغلاق مكاتب الحزب في عام، 1929 وبقي يمارس نشاطه السياسي وقد أطلق على حزبه تسميات مختلفة حتى أصبح اسمه حزب الشعب في 11 آذار 1937، ولكن سلطات الاحتلال أغلقت مكاتب الحزب، وأمرت بسجن 28 شخصية من زعمائه بما فيهم مصالي وقد حكم بالسجن والنفي ودفع غرامة مالية كبيرة،

وبعد خروجه من السجن بالعفو الذي رافق نهاية الحرب الكونية الثانية أسس مصالي حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1947، جدد مصالي الحاج بعد استقلال الجزائر حزب الشعب، وبقي خارج اللعبة السياسية حتى وفاته في 3 حزيران عام 1974 (حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية ص 292-293).

15- بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر ...، ص302.

16- Ageron, Charles Robert: Histoire de l'Algérie contemporaine Paris; P.U.F, 1964, p.585.

17- Op, cit, p. 586.

18- ولد عبد الحميد ابن باديس في عام 1889 في مدينة قسنطينة في عائلة مستعربة وعريقة ترجع شهرتها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، درس على يد الشيخ حمدان الونيس، انتقل ابن باديس إلى جامع الزيتونة بتونس ، وبعد أن أنهى دراسته عاد إلى بلده حيث عمل بالتدريس في الجامع الأخضر في قسنطينة بين عامي 1911-1914، ثم سافر إلى المشرق العربي، وعند عودته استقر في تونس بين عامي 1914-1918، كان والده مندوباً مالياً وعضواً في المجلس الأعلى وباش آغا لشرق الجزائر، وحاز على وسام جوقة الشرف الفرنسي، أسس ابن باديس جريدة المنقذ عام 1925 للترويج لفكرة الوطن والوطنية بين الجزائريين، أغلقت سلطات الاحتلال هذه الجريدة من العام نفسه بسبب مساندتها لنضال عبد الكريم الخطابي في المغرب فأسس جريدة الشهاب، أسّس ابن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 أيار عام 1931، وبقي رئيساً لها حتى وفاته عام 194(لمزيد من المعلومات انظر حميد عبد القادر ص291-292)

19- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 50.

20- هو أحد الفرنسيين المستوطنين في الجزائر، كان أحد أعضاء فرع الجزائر التابع للحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر، ثم أصبح عضواً في الحزب الشيوعي الجزائري الذي تأسس عام 1935، عمل جوليان بالتاريخ وألف عدة كتب عن شمال افريقية في مراحل تاريخها كلّها بما فيها المرحلة الفرنسية ترجمت إلى اللغة العربية، حملت اسم

تاريخ افريقية الشمالية حسب مراحل تاريخيها، كما أسلفنا، منذ القديم حتى المرحلة المعاصرة.

21- منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة خاصة، الجزائر دون تاريخ، ص275-276.

22- نمير، عقيل: " الحزب الشيوعي الجزائري ودوره في النضال السياسي منذ البدايات حتى اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى 1954" مقالة في مجلة دراسات تاريخية، العدادان 123 و124 تموز وكانون الأول، جامعة دمشق، دمشق 1434هـ/ 2013م، ص 360.

23- عبد القادر، حميد: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر بدون تاريخ، ص 18.

24- المرجع نفسه، ص 19.

25- Ageron, Charles Robert: Histoire de l'Algérie contemporaine, T. L, Paris 1979, p. 91.

26- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 23-24.

27- Stora, Benjamin et Daoud Zakia : Farhat Abbas, l'autre Algérie , Paris 1995, p. 24.

28- Stora, Benjamin et Daoud Zakia : Farhat Abas …, p. 27.

* القائد كانت تطلق في العصر العثماني في الجزائر على عمل وظيفي مثل قائد الزبل ،وهو المسؤول عن النظافة، وقائد الفحص مسؤول عن الشرطة في ضواحي مدينة الجزائر، وكان هناك قواد للأوطان (أقسام إدارية عثمانية تتبع كل بيلكية عثمانية بالتعبير الحديث محافظة) (لمزيد من المعلومات انظر كتابنا تاريخ الجزائر الحديث منشورات جامعة دمشق 2007- 2008 ص129).

29- عبد القادر : فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 28.

30- La couture, Jean : Cinque hommes et la France, Paris, seuil 1961, p. 74.

31- Kaddache, Mahfaud : Histoire du nationalisme Algérienne, Alger 1993, p. 47.

* ولد شريف بن حبيلس في مدينة قسنطينة نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وكان ينتمي لأعرق العائلات الارستقراطية التقليدية التي حافظت على مكانتها الاجتماعية منذ أيام الغزاة الأتراك العثمانيين، ورضيت بخدمة الغزاة الجدد الفرنسيين.(حميد عبد القادر: عباس رجل الجمهورية، دهر المعرفة الجزائر بدون تاريخ، ص36-37).

32- Kaddache : Histoire du nationalisme …, p. 49.

33- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية...، ص 36.

34- Stora, Daoud : Farhat Abbas…, p. 8.

35- جوليان، شارل أندريه: افريقية الشمالية تسير، ترجمة محمد مزالي، دار بو سلامة، تونس 1964، ص 132.

36- قداش، محفوض، جزائر الجزائريين 1830-1954 طبعة خاصة، ترجمة محمد المعراجي، الجزائر دون تاريخ، ص282.

37- Abbas, Ferhat : Le jeune algérien ; de la colonie vers la province, Paris 11981, p. 26.

38- Ageron, Charles Robert : Histoire de l'Algérie contemporain Tom n° 2,Paris P.U. F 1979, p. 322.

39- Nouchi, André : La naissance du nationalisme algérienne, Paris? Edition de minuit 1962, p. 63.

40- قداش، محفوض: جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830- 1954، الجزائر منشورات (Anep)، دون تاريخ، ص 295-296.

* حدثت عام 1929 أزمة اقتصادية عالمية انطلاقاً من الولايات المتحدة الأمريكية بسبب سياسة العزلة التي فرضها المسؤولون في الإدارة الأمريكية آنذاك مّما أدّى إلى انخفاض أسعار المنتجات أسعار، ومن ثمّ كسادها، انتقلت الأزمة إلى الدول الأوروبية ومستعمراتها الأمر الذي أثر تأثيراً ملحوظاً في هذه الدول ومن ثمّ على حركتي الاستيراد والتصدير وانخفاض أسعار المواد وكسادها أيضاً.

41- Stora, Daoud : Farhat Abbas …, p. 59.

42- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية...، ص 60- 61.

43- هو مشروع بلوم رئيس الوزراء الفرنسي وفيوليت الحاكم العام الفرنسي بالجزائر كان يقضي بمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين، إلاّ أنّ معارضة النواب الفرنسيين والمستوطنين الأوروبيين في الجزائر على المشروع دفع بلوم إلى تعديل هذا المنح بشرط عدم احتفاظ الجزائريين بالشخصية العربية الإسلامية. (بوحوش: تاريخ الجزائر السياسي، ص 234).

44- Kaddache : Histoire du nationalisme …., ..., p. 304.

45- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية...، ص 67.

46- فارس: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر...، ص 523.

47- جوليان: افريقية الشمالية تسير ...، ص 132.

48- عبد القادر : فرحات عباس رجل الجمهورية... ، ص 71.

49- Merad, Ali : Le réformisme musulman en Algérie de 1925- 1940, Paris 1967, p. 188.

*باب الواد هو أحد أبواب مدينة الجزائر الرئيسة يقع إلى الشمال الشرقي للمدينة.

50- لكن لم يحضر مصالي الحاج زعيم نجم شمال افريقية، أو أي ممثل رفيع المستوى من حزبه في المؤتمر، واقتصر حضور حزبه على بعض الأعضاء من الدرجة الثانية، لأنّ موقف مصالي الحاج منذ البداية كان واضحاً وينادي بدولة جزائرية مستقلة وبرلمان منتخب من قبل الجزائريين. (حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، ص 74).

51- بو عزيز، يحيى: الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية 1912- 1948، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1991، ص 52-54.

52- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية...، ص 74.

53- Kaddache : Histoire du nationalisme…, p. 448.

54- Kaddac : Histoire du nationalisme …, p. 450.

55- قداش: جزائر الجزائريين...، ص 320-321.

56- بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر...، ص 235.

57- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 81-82.

58- Kaddach : Histoire du nationalisme …, p. 699.

59- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 83.

60- المرجع نفسه، ص 84.

61- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية...، ص 85.

62- المرجع نفسه، ص 87.

63- La couture : Cinq hommes et la France …, p. 77.

64- Stora, Daoud : Farhat Abbas …, p. 140.

65- Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine, op,cit., p. 556.

66- Stora, Daoud : Farhat Abbas …, p. 140.

67- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، ص 88.

68- المرجع نفسه، ص89.

*ولد بن يوسف بن خدة في قرية البروافية التابعة لمدينة البليدة وولاية المدية في شهر شباط عام 1920. انتقل إلى مدينة البليدة- بعد أن أتم دراسته الابتدائية في قريته- حيث أنهى دراسته الثانوية، وانتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة وتخرج في جامعتها الفرنسية، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الصيدلة. انتسب لحزب الشعب وأصبح سكرتييره العام، التحق بجبهة التحرير الوطني الجزائري عام 1955، وأصبح عضواً في المجلس الوطني للثورة عام ،1956وعضواً بلجنة التنسيق، ثم وزيراً للشؤون الاجتماعية في الحكومة الجزائرية المؤقتة في أيلول عام 1958، ثم رئيساً للحومة الجزائرية بعد إقصاء فرحات عباس، ولكن أقصي عن الحياة السياسية بعد حصول الجزائر على استقلالها، وبقي يعمل في مهنته صيدلياً حتى وافته المنية في 4 شباط من العام 2003 (حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ، ص 296).

69- Benkhedda, Benyoussef : Les origines du 1er novembre 1954, édition Dahleb, Alger 1989, p. 14.

70- Alistaire, Horne : Histoire de la guerre d'Algérie , Paris Albin Michel 1980, p. 184.

71- Alistaie, Horne : Histoire de la guerre …, p. 185.

72- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، ص 92-93.

73- Alistaire : Histoire de la guerre …, p. 205.

74- قداش: جزائر الجزائريين...، ص 340.

75- قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية...، ص 692.

76- Alistaire : Histoire de la guerre…, p. 205.

77- Collette et Francis Jeanson : L'Algérie hors la loi, Paris seuil 1955, p Op, p. 70- 71.

78- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 96.

79- أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث ...، ص 211.

80- جوليان: افريقية الشمالية تسير...، 289.

81- Stora, Daoud : Farhat Abbas …, p. 144.

82- عبد القادر فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 97.

83- Collette et jeanson :L'Algérie hors la loi …, p. 71.

84- Collette et Jeanson : L'Algérie hors la loi …, p. 71.

85- بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر ...، ص 239.

86- Collette et Jeanson : L'Algérie hors la loi …, p. 70.

87- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية...، ص 106-107.

88- Kaddache : Histoire du nationalisme …, p. 676.

89- عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية ...، ص 108-109.

90- Stora et Daoud : Farhat Abbas …, p; 192.

91- بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر ...، ص 240.

المصادر والمراجع العربية المعتمدة بالبحث

1- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ثلاثة أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982.

2- بوحوش، عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997.

3- بوعزيز، يحيى: الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية 1912- 1948، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.

4- جوليان، شارل أندريه: أفريقيا الشمالية تسير، ترجمة دار بوسلامة، تونس 1964.

5- عبد القادر، حميد: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر دون تاريخ.

6- فارس، محمد خير: تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2002-2003.

7- قداش، محفوض: جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEPدون تاريخ.

8- منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة خاصة، الجزائر دون تاريخ.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- Abbas, Ferhat : Le jeunealgérien de la colonievers la province , Paris 1981/
2- Ageron, Charles Robert : Histoire de l'algérie contemporaine, tom n°3, Paris ,P.U.F. 1979.
3- Benyoucf, Ben Kheda : Les origines du 1er novembre 1954, Alger, Dahlab 1989.
4- Collette et Francis jeanson : L'Algérie hors la loi, Paris, seuil 1955.
5- Horne, Alistaire : Histoire de la guerre d'Alger, Paris, Albin Michel 1980.
6- Kaddache, Mahfoud : Histoire du nationalisme algérien, Alger , enel 1993/
7- La couture, Jean : Cinq hommes et la France, Paris, seuil 1961.
8- Merad, Ali : Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Paris, mouton 1997.
9-Nouchi, André : La naissance du nationalisme Algérien,Paris, édition de minuit 1962.
10- Stora, Benjamin et Daoud, Zakia : Farhat Abbas, l'autre Algérie, Paris, Daniel 1995.